جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات نقدية
نقد حديث ومعاصر

رقم: ح 23/ ف2019/01

إعداد الطالب:
حشاني خـولة

يوم: 22/06/2019

التجريب وأسس الكتابة الجديدة عند أدونيس
قراءة في كتاب "زمن الشعر"

لجنة المناقشة:

سميحة كلفالي	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مقرر
حكيمة سبيعي	أ. مح ب	جامعة بسكرة	رئيس
سامية راجح	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : **2018 - 2019**

مقدمة

عمل الشاعر العربي المعاصر على الثورة عن المفاهيم القديمة للشعر والانقلاب على الأساليب المتوارثة في نظمه، متجاوزا منطق التكرارية والتقليد والاجترار وقيم الثبات والوضوح والنمطية، باعتبار أن الشعر الجديد " تجريب "، والتجريب عمل مستمر لتجاوز ما استقر وجمد.

ولقد سعى الشاعر المعاصر جاهدا على محاولة التأسيس لكتابة جديدة؛ كتابة يستطيع من خلالها أن يتجاوز القيم الشعرية الكلاسيكية لأنها لم تعد قادرة على استيعاب الأوضاع الجديدة التي تعيشها الذائقة العربية، فكان الشعر الجديد استجابة لمضامين جديدة، وكان هذا التأسيس من ناحيتين: ناحية تشكيل النص الشعري وناحية التنظير له.

ويأتي الحديث عن التجريب في سياق الحديث عن " الحداثة الشعرية " إذ يمكن القول إن أهم ما أُنجز على مستوى حداثة الشعر العربي لا يكمن في الخروج عن القيم الشعرية القديمة فحسب، بل في تأسيس مفهوم جديد للشعر أساسه " التجريب " الذي يعلي من شأن الشاعر باعتباره مبدعا وخلاقا همه الأساس تغيير العالم، هذا الهم الذي شغل العديد من رواد الحداثة، وأبرزهم " أدونيس "

ولعلاقة أدونيس بالتجريب ومحاولة منه للتأسيس لكتابة جديدة تاريخ طويل ومتشعب وهذا ما لوحظ في جُلِّ كتاباته وأعماله، نخُصُ بالذكر كتابه الموسوم بـ: " زمن الشعر" والذي ستتكئ دراستنا عليه، ولهذا جاء البحث معنونا بـ:

التجريب وأسس الكتابة الجديدة عند أدونيس

قراءة في كتاب زمن الشعر

ويمكن القول إنّ الناقد والشاعر أدونيس قد أثير الجدل حوله بسبب الأفكار والآراء الجريئة التي يطرحها حول كل القضايا التي تَهُمُ المجتمع العربي، خاصة تلك التي ترتبط بالتراث

عموما، والتأسيس لكتابة جديدة خصوصا، ولعل هذا عامل يُغري أيَّ باحث على استقصاء هذه الأفكار، ومحاولة استكشافها والتطلع عليها، وقد كان هذا السبب الرئيسي لولوج عالمه النقدي.

ويهدف هذا البحث ويسعى إلى الكشف عن التجريب عند أدونيس وأسس الكتابة الجديدة في كتابه زمن الشعر.

وقد انطلق البحث من جملة إشكالات أهمها:

_ ما مفهوم التجريب وما هي أسسه عند أدونيس في كتابه زمن الشعر؟؟

_ ما هي أسس الكتابة الجديدة التي دعا إليها أدونيس في كتابه زمن الشعر ؟؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات، اعتمد البحث خطة قوامها: مقدمة وفصلين وخاتمة.

جاء الفصل الأول بعنوان: **التجريب عند أدونيس**، وتندرج ضمنه خمسة عناصر هي:

مفهوم التجريب، التجريب والرؤيا، التجريب والثورة، التجريب والتجاوز، أسس التجريب عند أدونيس.

أمَّا الفصل الثاني فَوسم بـ: **أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس**، فحاولت أن أسلط الضوء على: موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة، الكتابة الإبداعية والحداثة الشعرية، بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية، أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس.

وقد استعنت في هذه الدراسة بآليات مختلفة نعثر عليها في عدة مناهج منها: التحليل والتأويل.

وقد استعان البحث بجملة من المصادر كان أساسها: كتاب "زمن الشعر" وكذلك مؤلفات أخرى لأدونيس ككتاب "الثابت والمتحول الجزء الأول والثالث"، وكتاب "مقدمة للشعر العربي"

وكتاب "فاتحة لنهايات القرن"، إضافة إلى مجموعة من كتب التراث: "كمعجم الوسيط" "لسان العرب"، أما أهم المراجع: كتاب "التجريب في فن القصة القصيرة" لشعبان عبد الحكيم محمد، وكتاب "الحقيقة والسراب" لسفيان زدادقة، وكتاب "الحقيقة الشعرية" و"أدونيس في ميزان النقد" لبشير تاوريريت، إضافة إلى مقالات عدة من مجلات مختلفة أهمها مجلة: الحداثة.

وقد واجهت صعوبة في إنجاز هذا البحث تمثلت في الجانب الفلسفي الذي يطغى في كتابات أدونيس عامة، مما جعلني أجد نوعا من الصعوبة في تحليل وشرح أفكاره.

وختاما، لا يسعني إلّا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العميق للأستاذة المشرفة الدكتورة: **كلفالي سميحة**، التي لولاها لما عرف البحث طريقا إلى الوجود، لقد أحاطتني بالنصح المفيد والتشجيع المتواصل، والتوجيهات الصائبة، لذا أدعو الله عزّ وجل أن يجعلها ذخرا لكل طالب باحث. كما أشكر جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي في جامعة محمد خيذر بسكرة وأخص بالذكر الأستاذين: **بشير تاوريريت، وأحمد مداس**.

وأتفضل بالشكر الجزيل، كذلك لأعضاء اللجنة المناقشة الموقرين الذين أتشرف بمناقشتهم لمذكرتي وتصويبهم لأخطائي وزلاتي، ولهم مني آيات التبجيل والاحترام. كما أرجو من الله سبحانه وتعالى، أن يتقبل بحثي هذا بقبول حسن وأن يكون لبنة إضافية إلى ما كتبه سابقونا.

والله أسأل التوفيق فإنه نِعم المولى ونِعم النصير.

الفصل الأول: التجريب عند أدونيس

أولا: مفهوم التجريب

1 –

أ–لغة

ب–اصطلاحا

2–مفهوم التجريب عند أدونيس

أ–تجليات التجريب عند أدونيس

ب–أصول التجريب عند أدونيس

3–في إشكالية المصطلح

أ–التجريب والحداثة

ب–التجريب والتغريب

ج–التجريب والمعاصرة

ثانيا: التجريب والرؤيا

ثالثا: التجريب والثورة

رابعا: التجريب والتجاوز

خامسا: أسس التجريب عند أدونيس

أولا: مفهوم التجريب

من أجل ضبط مفهوم التجريب وجب علينا تقصي الدلالة المعجمية لهذا المصطلح بالإضافة إلى تقصي معناه الاصطلاحي وذلك من خلال الوقوف على أهم الآراء والمفاهيم النقدية للنقاد والمنظرين الذين حاولوا ضبط هذا المصطلح بمفهوم دقيق.

أـ لغة: جاء في معجم " لسان العرب " لابن منظور (ت 711هـ | 1268م) قوله: "جرَّب يُجربُ تجربةً وتجْريبًا: الشيء حَاولهُ واخْتبرَهُ مَرةً بعْدَ أخرى... ورجلٌ مجرِب: قد عرفَ أمورًا وجرَّبهَا... والمُجرِبُ الذي جُرِبَ في الأمورِ وعُرِفَ ما عندهُ ... ودراهمٌ مُجرَّبة موزونة..."[1]

أما المعجم الوسيط فقد ورد فيه: "(جرَّبهُ) تجريبًا وتجربةً: اختبره مرة بعد أخرى، ويقال: رجلٌ مجرَّب: جَربَ في الأمور وعرف ما عنده، ورجل مجرِبٌ: عرفَ الأمور وجربَها ..."[2]

من خلال المفهومين السابقين لمصطلح التجريب، نجده يتأسس على معاني الاختبار والمعرفة والتجربة، التي تولد العلم والمعرفة بالشيء وبما أن التجريب يتأسس على معاني الاختبار والتجربة، وجدنا أنه من الضروري تقصي مفهوم التجربة كمصطلح له علاقة ترابط وطيدة بالتجريب.

فالتجربة "experience"

"هي المعرفة أو المهارة أو الخبرة التي يستخلصها الإنسان من مشاركته في أحداث الحياة أو ملاحظته لها ملاحظة مباشرة، وكان الشاعر تشوصر "geoffrey chaucer"، يميز بين مصدرين للأديب هما: التجربة بالمعنى المشار إليه هنا، والحقائق التي يستفيدها من الكتب

[1] ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب ج1، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص261

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ج1، اسطنبول، تركيا، 1927م ص 114.

القديمة، التي تعتبر كنزا للذكريات البشرية والحكم التي استخلصها البشر خلال العصور المختلفة، فعلى الأديب في نظره أن يجمع في أدبه بين الاثنتين"[1]

ولهذا فمصطلح التجريب جاء من رحم التجربة، فهما مصطلحان يشتركان في أشياء مهمة كطلب المعرفة والخبرة والعلم بالشيء.

ب-اصطلاحا:

تمهيد:

تساءل جيمس جويس قائلا: " لو أن أحدا راح يضرب على قطعة خشب وهو في ثورة غضب، فحفر عليها بالصدفة صورة بقرة، فهل يمكن أن تكون هذه عملا فنيا؟"[2].

هذا استفهام استنكاري فليس الفن بهذه العفوية والارتجالية، إنه خلق وإبداع عن قصد ووعي، وكل محاولة تجريبية جديدة منطلقة من رؤية جمالية، ومن منظور المبدع الذي ينجح إلى التجديد والتفرد في رؤيته لأنسب صورة تعبيرية لتجربته، وليس هناك شكل فني خالد أبد الدهر فمن سنة الحياة التطور والتجديد، وكذلك الأدب دائما في تطور وتجديد وتجريب متوال[3].

وعليه فقد اكتسب مصطلح التجريب أهمية كبيرة، فتوالت الأبحاث وتعددت الدراسات حول هذا المصطلح، ولمعرفة أهم آراء النقاد حول هذا المصطلح، أولا، ومعرفة رأي أدونيس حوله ثانيا، وجب علينا أن نتساءل ما أهم الآراء والتعاريف التي تضمنها مصطلح التجريب عند النقاد عموما؟ وماذا يعني مصطلح التجريب عند أدونيس خصوصا؟

---

[1] مجدي وهبه وكامل مهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص88.

[2] شعبان عبد الحكيم محمد: التجريب في فن القصة القصيرة، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2010م ص07.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص07.

يعرف صلاح فضل التجريب على أنه يتمثل في: " ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل..." [1]

نجد أن الدكتور صلاح فضل يرى بأن التجريب في حقيقته ما هو إلا محاولة لتجاوز المألوف والمعتاد، وكذلك عن طريق التخطي الدائم لهما بواسطة البحث عن أدوات جديدة تمكن الأديب وتزيد من قدراته على التعبير عن علاقة الإنسان بواقعه، الذي هو دائم التغيير والتجديد.

ويرى فراس الريموني أن التجريب هو: " فعل التغيير الذي يتواصل مع العصر، ولحظة الزمن، وذلك من خلال إعادة البنية التركيبية للأطر التقليدية، التي جمدت حركة الإبداع والتواصل إلى تجارب القرن الماضي ووصولا الى نهايته التي ستجعلنا داخل قرن جديد مؤدلج بالتجارب واختراق كل ما هو سائد ومجمد"[2].

ويُعنى بالتجريب هنا، هو فعل وحركة تتماشى مع تغيرات العصر، فهو اختراق للسائد والجامد وللتقاليد التي عطلت وجمدت من حركية الإبداع والتواصل، فالتجريب فعل إبداعي يتسم بالتجديد والحرية والمعرفة وذلك لتحقيق التجاوز الذي يستهدف القيم الجمالية الموروثة.

وقد يبدو التجريب لأول وهلة غريبا، لكن ذلك ليس لضعف مكانة الأديب ودنو منزلة الأدب، فلقد "بدا الكتاب التجريبيون سطحيين أو غريبي الأطوار للكثيرين من معاصريهم، أما الآن فمن الواضح أنهم عمالقة الإدارة الأدبية مأخوذين بالنماذج والترتيب"[3]

من الواضح أن أي عمل أدبي يبدأ بالتجريب، فالتجريب هو الجسر الذي يجب أن تمر عليه الأعمال الأدبية، لكي تصل إلى درجة عالية من الإبداع والتميز، وعليه فلا يمكن لأي

[1] صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، وادي النيل، القاهرة، ط1، 2005م، ص07.

[2] فراس الريموني: حلقات التجريب في المسرح، دار مكتبة العامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2012م، ص9.

[3] أيمن ثعيليب: منطق التجريب في الخطاب السردي المعاصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2010م ص9.

كاتب مهما كان، أن تتضح تجربته الفنية وكذلك الإبداعية دون المرور بمرحلة أساسية وهي مرحلة التجريب.

ويرى علي محمد المومني أن التجريب هو: "كل محاولة جديدة في الأدب ندعوها تجريبا لأنها تحمل معاني الجدة والابتكار، وغالبا ما توصف المغامرات الفنية الجديدة بأنها تجريب".[1]

ونجد الدكتور مدحت أبو بكر قد أورد أربعة عشر تعريفا للتجريب نذكر ونختار الأقرب والأنسب منها:

_ " التجريب هو التمرد على القواعد الثابتة.

_ التجريب إبداع.

_ التجريب تجاوز للركود.

_ التجريب ثورة.

_ التجريب مرتبط بالمجتمع.

_ التجريب مرتبطا بالديمقراطية وحرية التعبير".[2]

إن الممعن بالنظر في هذه التعريفات يجدها تدور حول مفهوم واحد للتجريب وهو التجديد وتجاوز المألوف، وفي المخطط التالي توضيح لذلك:

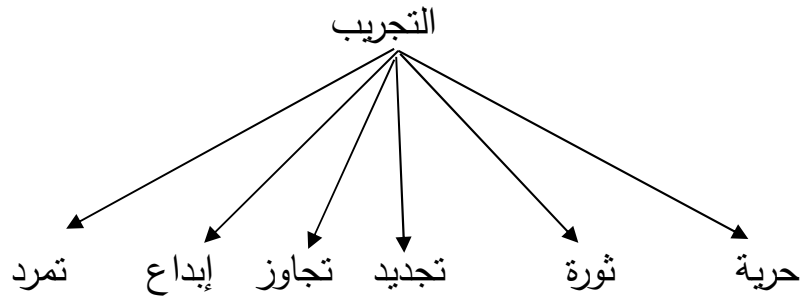

[1] علي محمد المومني: الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن د.ط، 2009م، ص21.

[2] شعبان عبد الحكيم محمد: التجريب في فن القصة القصيرة، ص14.

ولقد شهد الأدب الحديث صورا تجريبية في كافة فنونه الأدبية شعرا ونثرا، رواية ـ قصة قصيرة ـ مسرحيةـ وعليه فمصطلح التجريب ارتبط بفن المسرح، والمتتبع لأصل هذا المصطلح يجده من الكلمة اللاتينية "exprimentun"، والتي تعني البروفة أو المحاولة وقد شاع هذا المصطلح في القرن العشرين، وجاء ذيوعه مرتبطا بالمسرح[1].

إن المطلع على الحركة الأدبية في مراحلها المختلفة شعرا ونثرا منذ بداية القرن الحديث يجد أن كل محاولة تجريبية لها معاييرها الجمالية المناسبة لروح العصر، إبان ازدهار كل حركة أدبية، فقد حدث تطور في حركة الشعر العربي تجاوزا للمعايير السابقة التي لم تعد متماشية مع روح العصر، وسارت حركة التجديد في أكثر من مدرسة شعرية نذكر منها: المدرسة الرومانسية التي كانت تحمل نزعة إلى التحرر والانطلاق وكسر القيود التي كبلت الكلاسيكية ومنها مدرسة الإحياء والبعث، فهي تؤمن بذاتية الإنسان وقدراته في التحرر.[2]

ولعل أكبر خطوة تجريبية في الشعر العربي، كانت على يد الشعراء الذين انتهجوا الشعر الحر أو شعر التفعيلة أو السطر الشعري، فإذا كانت المغامرات السابقة تدور في فلك العروض الخليلي من وحدة القافية فيما عرف بالشعر المرسل، فإن حركة الشعر الحر كانت مغامرة ذات خطوة بعيدة في الحركة الشعرية الحديثة، وذلك في اتخاذ التفعيلة بديلا عن الوزن الخليلي، وصياغة الشعر في سطور شعرية ...الخ، وكذلك ظهور قصيدة النثر على يد: يوسف الخال وأدونيس.[3]

[1] ينظر: المرجع السابق، ص15.

[2] ينظر: أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان، ط1، 2011م ص20.

[3] ينظر: شعبان عبد الحكيم محمد، التجريب في فن القصة القصيرة، ص16.

2-مفهوم التجريب عند أدونيس:

أ-تجليات التجريب عند أدونيس:

يعرف أدونيس التجريب بأنه: "المحاولة الدائمة للخروج من طرق التعبير المستقرة، أو التي أصبحت قوالب وأنماط، وابتكار طرق جديدة، هذه المحاولة هي إعطاء الواقع طابعا إبداعيا حركيا"[1].

من هذا التعريف نجد أن أدونيس يرى بأن التجريب يقوم على قدرة الأديب في ابتكار أشكال جديدة ومغايرة في الكتابة، ليتجاوز النمطية مع محاولة منه لإيجاد صياغات حديثة تكسر التكرار والجمود، لهذا فأدونيس يسعى الى تدمير بنية اللغة المألوفة ورفض وتجاوز القوالب النصية الجاهزة، ويسعى كذلك إلى تجريب أشكال مفتوحة على الاختلاف والمغامرة هذا يعني أن التجريب يحمل معاني التجاوز والثورة والخرق والتمرد على السائد والمتعارف عليه، ذلك أن "التجريبية لا تنهض وفقا لما هو راهن، وإنما تنهض كتجاوز له، من أجل الكشف عن بديل أشمل وأعمق وأغنى"[2]، فالتجريب في الأدب يصور مختلف التجارب التي يقوم بها الأديب عن وعي للنهوض بالأدب وتطويره على غرار ما هو جار في مجال العلم.[3]

فالتجريبية إذا هي: "عمل مستمر لتجاوز ما استقر وجمد "[4]، إذا فالتجريب يعني تجاوز كل ما هو تقليدي واختراق السائد والخروج عنه، هو أيضا فعل التجاوز والثورة على الشكل والمضمون والطرق التعبيرية السائدة لإيجاد شكل جديد للعمل الفني، وعليه فالتجريب هو

---

[1] أدونيس: زمن الشعر، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط6، 2005 م، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص137.

[3] ينظر: سفيان زدادقة، الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان ط1، 2008م، ص392.

[4] أدونيس: زمن الشعر، ص137.

محاولة الخروج من سجن التقليد والتكرار والثبات، والدخول في رحابة الإبداع والتجديد والتحول.

لهذا فإن أدونيس يرى بأن الكتابة الشعرية العربية لابد لها من أن تستند إلى هذه المعايير:[1]

-استخدام جديد للغة يحقق السيطرة الكاملة على التعبير والتشكيل.

-ابتكار بنية تعبيرية جديدة.

- وضع التجربة أو الرؤيا في عالم متكامل.

ب-أصول التجريب عند أدونيس:

المعاني والأفكار مطروحة في السوق كما يقول الجاحظ، من هذه المقولة انطلق أدونيس في كتابه زمن الشعر[2] بتقديم رؤيته الخاصة عن تشكل التجربة الشعرية في الساحة الأدبية العربية والتي أحدثت انقطاعا عن كل ما هو قديم وفي رؤيته هذه نلمس ونلاحظ أهم الفروقات بين الشعر قديما والشعر حديثا، أي بين الشاعر العربي القديم والشعر العربي الحديث.

فقديما كان الشعراء يعيشون في بيئة منظمة، وعالم واضح، يقوم على الحقائق المطلقة والنهائية، فأفكار الشاعر وطريقة نظمه للشعر تعتمد على العقل والذهن أكثر من الحدس والنفس، وعليه كان الشاعر في ذلك الوقت يقدم لنا قصائد جمالية، ذات قوالب جاهزة انطلاقا على ما نظمه سابقوه، يبني هو قصائده وينظم على منوالها، فكان القارئ والمتلقي يستقبل قصائد شعرية مألوفة تعبر عن مواضيع واحدة، ذات مضامين ومعاني معروفة، اللهم

[1] ينظر: المصدر السابق، ص 135.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص14.

إن اختلفت في الألفاظ أو الدوال، يقول أدونيس: "كان الشاعر العربي القديم يعيش في عالم واضح منظم : كل شيء فيه مفسر، محدد ... وكان هذا العالم يقوم على حقائق نهائية ... كانت بنيته الشعرية عقلية ذهنية، أكثر منها نفسية، انفعالية ... لهذا كان الشاعر يصدر إجمالا عن أفكار ومعان جاهزة كان بتعبير آخر، ينقل معاني موجودة قبله: يفسرها وينوع عليها، وكان القارئ تبعا لذلك يرى في نتاجه ما قد عرفه سابقا أو ألفه ..." [1]

وفي هذا الصدد كذلك يقول أدونيس: "وفي هذا سر اهتمام النقد العربي القديم بصياغة الشعر أو ضاعته ... وعمل الشاعر تبعا لذلك لا يتناول الافكار وإنما ينحصر في صياغتها، أو على الأصح في إعادة صنعها وصياغتها ... هكذا كان الشاعر العربي القديم منظما ويقينيا وكان نتاجه إجمالا صورة للنظام واليقين."[2]

حدث بعد ذلك كما يشير أدونيس، تطورات منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا تطورات في جميع المجالات المعرفية، فبدأ التغيير يحصل ويطرأ ـ شيئا فشيا ـ حتى مس ووصل خصوصا إلى قلب موازين أراضي الشعر المعروفة وتغييرها تغييرا مفاجئا، فتغيرت في وعي ونفس الشاعر الحديث صورة بيئته المنظمة، وغيرت كذلك وهو ـ أهم شيء ـ أفكاره وطرق تعبيره وعليه لم تعد القوالب والأشكال الثابتة بالإضافة إلى انسحاب وتراجع الحقائق المطلقة وتقدم الحقائق النسبية، بفضل التطورات الحاصلة، يقول: "لكن التطورات التي حدثت منذ ذلك الوقت حتى اليوم زلزلت في وعي الشاعر العربي الحديث صورة عالمه القديم، وزلزلت أفكاره وطرق تعبيره، لم تعد هناك حقائق مطلقة، ولا أشكال ثابتة ..." [3]

---

[1] المصدر السابق، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص14.

[3] المصدر نفسه، ص14.

ونتيجة لذلك تجاوز الشاعر العربي الحديث ما ألفه وعهده من أفكار سابقة، ومعاني جاهزة، محاولا خلق والإتيان بمعاني ومدلولات ومضامين جديدة لعالمه الجديد، بل أصبح يقدم للقارئ قصائد شعرية ذات قيم جمالية مختلفة عن القصائد القديمة، فأصبح يقدم لنا قصائد ذات حيز من الانفعال وفضاء من الخيال والصور المختلفة، معتمدا في ذلك على الحدس والنفس والحواس متجاوزا للعقل أو الفكر، معبرا في ذلك عن رؤاه، معبرا عن تجاربه معبرا عن ما يختلج نفسه، دون التقيد بالجاهز والمسبق الذي كان عليه قديما، وهذا ما نسميه كما يرى أدونيس "رؤية أو تجربة" أو كما أرى أنه من الأصح أن نطلق عليه "تجريب" وفي هذا، المنوال نجد أدونيس يقول : "لم يعد الشاعر العربي الحديث ، ينطلق من أفكار مسبقة ولم يعد يصدر عن معاني جاهزة، وإنما أصبح يسأل ويبحث محاولا أن يخلق معنى جديدا لعالمه الجديد، هكذا لم تعد القصيدة الحديثة تقدم للقارئ أفكارا ومعاني الشأن القصيدة القديمة، وإنما أصبحت تقدم له حالة، أو فضاء من الأخيلة والصور، ومن الانفعالات وتداعياتها، ولم يعد ينطلق من موقف عقلي أو فكري واضح وجاهز، وإنما أخذ ينطلق من مناخ انفعالي : نسميه رؤية أو تجربة"[1].

ومما تقدم أو ـ مما سبق ـ يرى أدونيس أن الشعراء الذين واكبوا التطور الحاصل الذي غيّر في مجرى اتجاه القصيدة العربية القديمة وأحدث نوعا من الانقطاع عنها مضمونا وشكلا، هو الشاعر أبي تمام الذي يرى بأن في قصائده نلمس ونلمح معنى جديدا للعالم والإنسان فقد غير أبي تمام في نظام الدوال والمدلولات أي الأشكال والمعاني والمضامين مغيرا أيضا في نظام التعبير أي في كيفية بناء القصيدة بقوالب شعرية جديدة، غير مألوفة مغيرا كذلك في نظام الفهم، أي مغيرا في وعي المتلقي والقارئ، في فهمه للقصيدة، وإخراجه من القوالب الشعرية التقليدية المألوفة سابقا إلى قوالب شعرية جديدة غير مألوفة، ذات بناء جديد ومختلف، يقول: "ومن هنا تشكل التجربة الشعرية الحديثة أحدث نوعا من الانقطاع

[1] المصدر السابق، ص14.

عن القديم: أي نشأت إمكانات واحتمالات غير معهودة لبناء صورة جديدة ومفهوم جديد للإنسان وللعام بطرق جديدة. وقد بدأ هذا الانقطاع في المجتمع العربي مع أبي تمام، فقد أحدث شعره انقلابا تغير فيه نظام الدلالة والمعنى، نظام التغير ونظام الفهم ..."[1]

ويقول أيضا: "يجب أن أشير هنا إلى أن مثل هذا الانقطاع حدث ويحدث في جميع الأمم أو جميع العصور، حيث يتم الانتقال من طرق التعبير السائدة إلى طرق أخرى مغايرة..." [2]

وعليه فأدونيس يرى بأن ظهور أو نشأة وتشكل التجربة الشعرية الحديثة أو ما يصطلح عليه بالتجريب في الساحة الأدبية العربية ظهر على يد الشاعر العربي أبي تمام.

3ـ في إشكالية المصطلح:

لعل من الضروري في أي بحث هو تحديد مصطلحاته، لأن عدم تحديد مصطلحات البحث قد يؤدي إلى اللبس بحيث يفسر كل قارئ أو متلقي المصطلح من وجهة نظره كما يراه ويرغب وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى الفهم الخاطئ وإلى أشياء لم نقصد إليها، وقد تكون مناقضة تماما نهدف ونسعى إليه، أما عندما تحدد مصطلحات البحث فإننا نعطي بهذه الطريقة التصور الذي نريد وبما أن مصطلح التجربة مصطلح زئبقي ومتحول وذلك بحسب وجهة نظر النقاء إليه، واسع وفضفاض يصعب تعريفه التعريف الجامع، بات من الضروري علينا جمع أقرب المصطلحات التي هي قريبه في المعنى من مصطلح التجريب ولها علاقة وطيدة به، وتصب معه في قالب واحد وتسير معه في نفس الاتجاه ومن بين هذه المصطلحات ما يوضحه المخطط التالي:

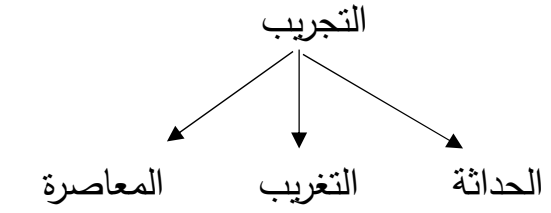

[1] المصدر السابق، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص15.

أ- التجريب والحداثة:

مصطلح الحداثة فُهم ويفهم بدلالات عدة: "بعضهم رادفة بالجديد، وبعضهم بالحديث وثالثا بالمعاصر، ورابع بالمناح، المعرفي العام الذي يشكل قطيعة ابستمولوجية مع كل الماضي..."[1] وعليه فمصطلح الحداثة يعني: "الجدة والابتكار في استخدام المعاني والأساليب والأفكار، فالحداثة مصطلح غربي معاصر وفد على الفكر العربي وهو يدل على ضرورة تجاوز كل ما هو قديم قصد البحث والكشف عن الجديد ..."[2].

وفي وجهة نظر أخرى نجد أن الحداثة تعرف على أنها: "دائمة البحث عن الجديد والتجديد في كل شيء إلا أنها لا تؤمن بالثبات، ولا تؤيد السكون، ولا تميل إلى المحافظة على التقاليد هي ثورة في كل المجالات لأجل إبراز فاعلية الإنسان في الكون والمجتمع..."[3] ففي الحداثة "تكمن روح المستقبل ومن صفاتها عدم الاستقرار والتغير..."[4]

لقد اعتنق الباحثون وانكب النقاد في دراسة مصطلح الحداثة، ولهذا توالت الدراسات وكثرت التعاريف وازدحمت الآراء حول هذا المصطلح، ولعل التعاريف المسجلة سابقا توحي وتدل على أن الحداثة في أبسط تعاريفها تعني "التجديد" في أنماط التعبير وأساليبه وهي تجاوز للقديم بغية الوصول إلى الجديد، والكشف عن بديل أشمل وأعمق، وبالتالي فالحداثة تعني اللاثبات، اللاسكون، التغير، الخلق المستمر واللاتكرارية.

أما حسب وجهة نظر أدونيس فهو يرى أنه يمكن اختصار معنى الحداثة بأنه: " التوكيد المطلق على أولوية التعبير"[5] مفسرا وشارحا للقارئ هذا التعريف بقوله: "أعني أن طريقة

---

[1] نعيم اليافي: الماركسيون يعيدون اكتشاف طه حسين ليعارضوا به الإسلاميين، مجلة الحداثة مجلة فصلية تعنى بقضايا التراث الشعبي والحداثة، مج 16-17، ع31-32-33-34، 1998م، ربيع وصيف، ص54.

[2] على محمد المومني: الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية، ص24.

[3] برهوم فاروق عطية بلال: التجريب في رواية العشق المقدنس لعزالدين جلاوجي ، ذويب عز الدين، أدب معاصر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، 2016م/2017م، ص28.

[4] كمال محي الدين حسين: رأي في طبيعة الحداثة، مجلة الحداثة، ص59.

[5] أدونيس: زمن الشعر، ص195.

أوكيفية القول أكثر أهمية من الشيء المقول، وأن شعرية القصيدة، أو فنيتها هي في بنيتها لا في وظيفتها. هذا يتضمن نتيجة أساسية: ليست قيمة الشعر في مضمونه بحد ذاته... وإنما هي في كيفية التعبير عن هذا المضمون. ... بل يعني أن المهم هو الشاعر وكيفية تعبيره وليس الموضوع بحد ذاته ..."[1].

حسب هذا التعريف نجد أن أدونيس يرى بأن الحداثة هي المحاولة الدائمة لتجاوز طرق التعبير السائدة والمستقرة والتي انتهجها معظم الكتاب والمؤلفين، من خلال ابتكار طرق جديدة في التعبير ذلك عن طريق تجاوز النمطية في الكتابة؛ فقد ربط أدونيس الحداثة بشيء واحد وهو ضرورة التركيز على طريقة أو كيفية التعبير وصياغة الأسلوب، مؤكدا بأن الأولوية لطريقة القول، لا الشيء المقول مثلما اعتدنا عليه سابق، وأن شعرية القصيدة تكمن في بنيتها لا في وظيفتها، وبالتالي فقيمة القصيدة تمكن في كيفية التعبير عن مضمون الموضوع وليست في المضمون بحد ذاته، أضاف كذلك بأن المهم هو الشاعر وكيفية تعبيره، وفي المخطط التالي توضيح لمفهوم الحداثة عند أدونيس:

الحداثة ← طريقة وكيفية التعبير
- ← التركيز على كيفية التعبير عن مضمون الموضوع.
- ← التركيز على بنية القصيدة.
- ← التركيز على الشاعر وكيفية تعبيره.

ب-التجريب والتغريب:

التغريب أو الإغراب هو "الرغبة في الإتيان بكل ما هو غريب أو غيرمألوف ... والتغريب في الشعر تعمد الغرابة فيه ...، واتصاف العمل الأدبي بتصوير عادات البلاد الأجنبية ومشاهدها والغرض منه التسلية وإثارة الخيال"[2].

[1] المصدر السابق، ص195.

[2] أسماء أحمد معيكل: الأصالة والتغريب في الرواية العربية، ص10.

ويختلط مفهوم مصطلح التغريب بعدة مفاهيم: "ربطه البعض بمصطلح التجديد والتحديث بحكم ارتباط جل الحديث بالغرب ونشأته فيه..."[1]

وعرفه إبراهيم السامرائي اصطلاحا بكونه: "شيء من النمط الغربي وُسِمت به العربية المعاصرة..."[2].

من هذين التعريفين نستطيع أن نعرف التغريب بأنه مصطلح غربي يمتزج بعدة مصطلحات منها الجديد والتحديث، وهو محاولة الأديب إدخال شيء من الغرابة في عمله الأدبي وحسب أدونيس فهو يطلق مصطلحان آخران للتغريب وهما "التنافر والتجديد" معتمدا في ذلك على مقولة "بودلير" بأن في الجمال تكمن الغرابة، والغرابة حسبه هي الجدة فالغريب لأول وهلة لا يمكن فهمه بسهولة لأنه غير عادي وغير مألوف يتصف عادة بالغموض وعدم الوضح، فالتجديد أو التغريب حسبه أن لا نسمح لجذور الماضي بالامتداد والتفرع، بل أن نأتي بطرائق ورؤى جديدة ذات طابع إبداعي وحركي مخالفة تماما لطرائق الماضي النموذجية والنمطية يقول أدونيس في هذا الصدد: "هذا التنافر هو شعريا، الغرابة هي الجدة والغريب لا يمكن فهمه بسهولة ... هنا على وجه الدقة، يكمن معنى التجديد. إذ ليس التجديد أن نجعل الماضي يتطاول ويمتد، بل أن نحيد بطرائقنا ورؤانا الشعرية عن طرائق الماضي ورؤاه. وعلامة ذلك هي هذا التنافر"[3].

ج-التجريب والمعاصرة:

المعاصرة هي: " فعل ومشاركة تكوين العصر وخلق مجاريه نحو المستقبل، وبمعنى أخر هي ارتباط الكاتب بمجتمعه وفهمه لمشاكله مع محاولة منه لتحري بعض العوائق التي تعترض مجتمعه، ومحاولة منه أيضا لإبعاد الترسبات المتحكمة في الذاكرة كبعض المفاهيم

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] إبراهيم السامرائي: التغريب في اللغة العربية، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع04، 1980م، ص211.

[3] أدونيس: زمن الشعر، ص158.

والعادات التي يراها الإنسان العاقل ـ المتفتح ـ أنها سيئة وضد المنطق والتقدم والحضارة الإنسانية"[1].

أما المعاصرة في المجال النقدي تحدد معناها "على أن يعيش الناقد واقع عصره معبرا عن روحه مستفيدا من إنجازاته معتركا مع قضاياه محاولا بعد ذلك ألا يطل عليه من الخارج متأملا بل أن يحياه من الداخل ثائرا حتى يتمكن من تطوير هذا الواقع وتغييره "[2].

المعاصرة أو الجديد أو الحداثة حسب كمال محي الدين حسين هي: "المقدرة الشخصية على إبداع جديد في مجال فكري، فلسفي، علمي، أدبي فني..."[3].

إن المعاصرة شرط للإبداع وإنتاج الجديد، المتغير، المتطور والمتحرر من أسر المعايير السابقة: النموذجية والنمطية أي التقليدية، إذ أن المعاصرة تميل إلى أن تجدد في الواقع أو بالأحرى هي سعي الكاتب إلى تكوين عصر زاهر من خلال ارتباطه بمجتمعه ومحاولة حل العوائق والمشاكل التي تعيقه وتعترضه، ساعيا في ذلك إلى تطوير وتنمية فكر مجتمعه عن طريق كتاباته ومحاولة إخراجه من قوقعة العادات والتقاليد البيئة والرجعية وجعله يطل على نافذة التحضر والتقدم والمنطق، وهنا تمكن روح مقدرة الكاتب الشخصية في الإبداع والتجديد وخرقه للمألوف وتجاوزه للمعهود والساكن.

بعد عرضنا لهذه التعريفات تجدر بنا الإشارة إلى مدى تقاطعها مع مفهوم التجريب وما يحمله من معاني التجاوز والثورة والتمرد، وهذا ما جعله وثيق الصلة بالحداثة والتغريب والمعاصرة، إن هذه التعالقات والتقاطعات بين هذه المصطلحات تؤكد العلاقة الوطيدة وتجعل من الصعب الفصل بينها، باعتبار أن الحداثة حركة لا تنتهي تهدف إلى تجاوز كل ما هو تقليدي وهي دائمة البحث عن الجديد، والتغريب الذي يعني الرغبة في الإتيان بكل ما

[1] كامل صالح: مفهوم المعاصرة في شعر نزار قباني، مجلة الحداثة، ص20.

[2] خالد الغريبي: جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، دار صامد للنشر، تونس، ط2، 2006م، ص24.

[3] كمال محي الدين حسين: رأي في طبيعة الحداثة، مجلة الحداثة، ص59.

هو غريب وغير مألوف، والمعاصرة التي تعني المقدرة الشخصية في إبداع الجديد في جميع المجالات، والتجريب الذي يعني فعل التجاوز والثورة على كل ما هو تقليدي.

وفي النقاط التالية توضيح لمدى تعالق وتقاطع مصطلح التجريب مع المصطلحات المذكورة سالفا:

-التجريب الحداثة المعاصرة التغريب: مصطلحات غربية.

-هي مصطلحات تحمل معاني التجديد والتحديث في جميع المجالات.

-تتقاطع هذه المصطلحات مع مصطلح التجريب في كونها ترفض السكون ولا تؤيد الثبات.

-كذلك تتجاوز الماضي والنمطية قصد الوصول إلى الجديد والخلق المستمر.

-لا تميل إلى المحافظة على التقاليد بل تسعى إلى تصحيح السيء منها، خصوصا تلك المفاهيم التي تعارض المنطق والتقدم والحضارة.

-كذلك تتداخل هذه المصطلحات مع مصطلح التجريب في كونها تسعى إلى تطوير الواقع وتغييره.

-محاولة التغيير في طرق التعبير وابتكار أشكال جديدة ومغايرة في الكتابة.

-كسر الجمود والتكرار والقوالب النصية الجاهزة والسعي إلى تجريب أشكال مفتوحة على الاختلاف والمغايرة.

ثانيا: التجريب والرؤيا

قبل الحديث عن مصطلح الرؤيا عند أدونيس نشير بادئ ذي بدء إلى الفرق بين (الرؤيا) و(الرؤية)، فما تعنيه الرؤيا في المعاجم العربية هو: "ما يراه الإنسان في منامه وجمعها رؤى التي تعني الإبصار في حالة اليقظة"[1].

وإن ما يميز (الرؤية) عن (الرؤيا) هو: "ارتباط الأولى باليقظة والثانية بالحلم أو المنام وعلى الرغم من أن الرؤيا رديفة للحلم إلا أن الفيلسوف المتصوف ابن عربي وكثيرا من الفلاسفة والمتصوفين الذين تحدثوا عن الرؤيا نادرا ما استخدموا كلمة الحلم وقد يعود هذا التحاشي لسببين: الأول: هو ارتباط الحلم أيضا باليقظة والثاني: هو وجود حديث للرسول عليه السلام يميز فيه الرؤيا والحلم في قوله (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)"[2]

وقد استخدم الفلاسفة مصطلحا أخر رديفا للرؤيا هو مصطلح: "التخيل وقد استقاه الفلاسفة العرب من أرسطو... ومن ثم فإنهم ألفوا مصطلح التخيل وبدله استعملوا مصطلح الخيال الذي يوليه ابن عربي مرتبة عليا..."[3]

وعليه نريد الإشارة إلى ملاحظة أساسية مفادها أن: "التخيل شيء أشمل وأعمق من الخيال، فالتخيل هو رؤيا الغيب وهو بديل للانهائية عند أدونيس، بل هو ملمح أساسي في الحركة الشعرية العربية الجديدة فما يعنيه أدونيس بالتخيل هو "القوة الرؤياوية" التي تستشف ما وراء الواقع فيما تحتضن الواقع، أي القوة التي تطل على الغيب وتعانقه فيما تنغرس في

[1] بشير تاوريريت: آليات الشعرية الحداثة عند أونيس، دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009م، ص111.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، ص484.

الحضور تصبح القصيدة جسرا يربط بين الحاضر والمستقبل الزمن والأبدية الواقع وما وراء الواقع، الأرض والسماء ..."[1]

وحسب الذي تقدم فإننا نصل إلى أهم الفروقات والاختلافات التي تميز للقارئ الفرق الواضح والجلي بين الرؤيا والرؤية وذلك في الجدول التالي:

الرؤيا	الرؤية
-مميزة بالألف في أخرها	-مميزة بتاء مربوطة في أخرها
-الرؤيا هي ما يراه الإنسان في منامه	-الرؤية هي الإبصار في حالة اليقظة
-ترتبط الرؤيا بالحلم أو المنام	-ترتبط الرؤية باليقظة

كذلك مما تقدم وجدنا أنه مرادفات الرؤيا ما يلي:

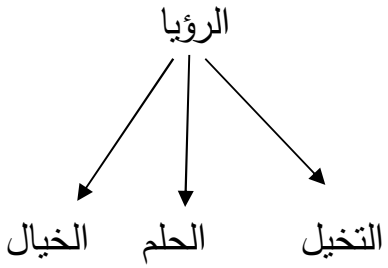

وإذا مارسنا استقراء لمسيرة الشعر العربي المعاصر ألفينا الحركة الكلاسيكية والحركة الرومانسية، وحركة شعر التفعيلة قد تأثرت جميعهم بمفاهيم الإلهام والحدس والرؤيا، إلا أن هذا المصطلح الأخير لم ينهض للتداول النقدي إلا في بداية الستينيات، حينما تبناه المشروع الحداثي في الثقافة العربية المعاصرة، وتحديدا ارتبط ظهور هذا المصطلح بجماعة شعر أساسا، إذ أكدت دائما في أدبياتها الرائجة على مفاهيم "الحدس، الإشراق، الرؤيا والكشف"

[1] المرجع السابق، ص443.

باعتبار أن الشاعر يسمو بشعره عن الواقع ويفارق القريب إلى البعيد والمألوف إلى المجهول...[1]

ويعرّف أدونيس الشعر الجديد بأنه رؤيا، فهو يرى بأن الرؤيا في حقيقة الأمر ماهي إلا نوع من التخطي والتجاوز ومحاولة القفز عن دائرة المفاهيم السائدة والمكررة أو بالأحرى المفاهيم المألوفة والمستقرة الجامدة، فالرؤيا حسبه هي تغيير في أنظمة الأشياء وفي أنظمة النظر إليها، فالرؤيا يعرفها أدونيس على أنها: " قفزة خارج المفهومات السائدة هي إذا تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها"[2].

وبما أن الشعر الجديد حسب أدونيس رؤيا فمهمته التمرد على الأشكال والطرق التعبيرية القديمة ليس هذا فحسب بل ومحاولة إزاحة الستائر والأغطية عن الكون والعالم الذي لطالما حجبته عنا ستائر الألفة والعادة، ومحاولة الكشف والوصول إلى صورة العالم ووجهه المخبوء، وجه العالم الحقيقي الباطني وذلك بواسطة مجموعة من الأشكال والطرق التعبيرية الجديدة والمعاني الخلاقة التوليدية البعيدة كل البعد عن الإتباع والتقليد يقول أدونيس: "هكذا يبدو، الشعر الجديد، أول ما يبدو تمردا على الأشكال والطرق الشعرية القديمة ... أن نرى في الكون ما تحجبه عنا الألفة والعادة أن تكشف وجه العالم المخبوء، أن نكتشف علائق خفية وأن نستعمل لغة ومجموعة من المشاعر والتداعيات الملائمة للتعبير ... فقوام الشعر الجديد معنى خلاق توليدي، لا معني سردي وصفي، إنه كما يقول الشاعر الفرنسي المعاصر "رينه شار": " الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة إلى الكشف" [3]، "بذلك تتحول الرؤيا عنصرا رئيسا في بناء مفهوم الشعر الجديد حيث ينصهر الشاعر في العالم ويضيف

[1] ينظر: سفيان زدادقة، الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، ص323.

[2] أدونيس: زمن الشعر، ص150-151.

[3] المصدر نفسه، ص151.

له من معاناته وأشواقه وأحلامه ويقيم حركة مخاضية لابد أن تسرف عن ولادة، ولادة إيحاءات جديدة تنقلنا إلى عوالم لا نعرفها ونتخطى بها عتبات المجهول"[1].

وهذا ما ذكره أدونيس بأن من خصائص الشعر الجديد: " أن يعبر عن قلق الإنسان أبديا الشاعر الجديد، والحالة هذه، متفرد متميز في الخلق في مجال انهماكاته الخاصة وشعره مركز استقطاب لمشكلات كيانية يعانيها في حضارته وأمته وفي نفسه هو، بالذات"[2].

من هنا يرى أدونيس بأن الشعر الجديد يجب أن يترك ويتجاوز الأمور التالية:

1-الحادثة: المنفصلة عن الشعر فهو يرى بأن على الشاعر الحق أن يتناول من مظاهر العصر أكثرها ثباتا وديمومة وتواصلا بمعنى المظاهر التي لا تفقد دلالتها في المستقبل "إذا أن هناك تنافرا بين الحادثة المنفصلة والشعر... ذلك أن الشعر العظيم يتجه نحو المستقبل..."[3]

2-يتخلى كذلك عن **الشعر الوقائعي** بمعنى الشعر الذي يقترب من النثر العادي، مع استخدام الدلالة المألوفة للكلمة، بمعنى أن أدونيس يدعو إلى إفراغ الكلمات من محمولها القديم المستهلك وشحنها بطاقة جديدة ودلالة جديدة تخرجها من قوقعة المألوف والسائد يقول أدونيس في ذلك: " يبطل أن يكون شعر "وقائع" أي الاقتراب من النثر العادي واستخدام الكلمات وفقا لدلالتها، المألوفة وهذا نقيض للشعر الحق الذي يفرغ الكلمة من ثقلها العتيق المظلم ويشحنها بدلالة جديدة غير مألوفة..."[4].

---

[1] أمال منصور: أدونيس وبنية القصيدة القصيرة، دراسة في أغاني مهيار الدمشقي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ط1، 2007م، ص222.

[2] أدونيس: زمن الشعر، ص151.

[3] المصدر نفسه، ص152.

[4] المصدر نفسه، ص152.

3- ويتخلى الشعر الجديد عن **الجزئية** ويعني ذلك دراسة القصيدة والنظر إلى أبياتها أن كل بيت مستقل عن الأخر بحيث أن كل بيت ينفصل في معناه عما قبله وما بعده، فالتخلي عن الجزئية يعني محاولة الوصول إلى واقع أرقى وأشمل واقع يتسم بالكمال من خلال محاولة التغيير في شتى المجالات وليس في جزء منها فقط، لهذا وجب على الشاعر أن يخترق ما ألفناه في الشعر العربي التقليدي من تعبير عن مزاجه وظروفه الاجتماعية ومحاولة الغوص والولوج في رؤيا وآفاق العالم الباطني والخفي يقول : " ويتخلى الشعر الجديد عن الجزئية فلا يمكن الشعر أن يكون عظيما إلا إذا لمحنا وراءه رؤيا للعالم. ... من المؤكد أن الشاعر يعاني أزمات نفسية ويحس بوطأة آلامها. إلا أن معجزة الشعر هي على وجه الدقة، أن يخترق هذه المعطيات وأن يتجاوزها..."[1]

4-ويتخلى الشعر الجديد أيضا عن **الرؤية الأفقية**، بمعنى الشعر الذي ينظر إلى الأشياء بوصفها مجرد ظواهر أو وظائف وهذا ما يجعل الشاعر يعبر عن الظاهر أي عن سطح العالم فقط، فبالشعر الجديد نتجاوز السطح لنغوص في الأشياء وما وراءها وهذا ما يجعل العالم دائم التجدد ويجعلنا نحن في اتحاد معه وذا صلة وثيقة به يقول أدونيس: " ويتخلى الشعر الجديد عن الرؤية الأفقية، ففي معظم شعرنا المعاصر والقديم، تبدو الحياة مشهدا ... فهو ينظر إلى الأشياء بوصفها مجرد ظواهر، أو وظائف ... بالشعر الجديد نتجاوز السطح لنغوص في الأشياء وراء ظواهرها حيث يمكننا أن نرى العالم في حيويته وبكارته وطاقاته على التجدد، وأن نتحد معه ..."[2]

5-ويتخلى الشعر الجديد عن **التفكك البنائي** بمعنى أن القصائد لا تعرف تناغما وانسجاما ولا وحدة، بل تتصف بالتشقق أي التفكك في الهيكل والبناء وتركز على الأوصاف والنعوت والاستعارات التي عرف الشعر الجديد بالتخلي عنها "نحن نرى في معظم القصائد المعاصرة

[1] المصدر السابق، ص 151-152.

[2] المصدر نفسه، ص153.

تشققا في هيكلها ووحدتها هناك "مضمونات" قد تعد حديثة ثانيا ولكن التعبير عنها قديم يقوم على الخطابية خطابية الفكرة حينا وخطابية العاطفة حينا آخر وعلى التركيب المباشر، وعلى الأوصاف والنعوت والاستعارات التي يتخلى عنها الشعر الجديد ..."[1].

يرى أدونيس بأن الشكل الشعري هو بناء فني وطريقة وكيفية تعبير، وبما أن الشعر الجديد رؤيا وكشف وجب عليه السمو والعلو على الشروط الشكلية المألوفة لأنه بحاجة إلى مزيد من الحرية فهو يرى بأن بناء القصيدة قابل للتجدد والتغير " الشكل الشعري هو أولا كيفية وجود، أي بناء فني وهو ثانيا، كيفية تعبير، أي طريقة إن الشعر الجديد باعتباره كشف ورؤيا، غامض، متردد لا منطقي ولهذا لا بدً له من العلو على الشروط الشكلية ، لأنه بحاجة إلى مزيد من الحرية ... ليس الشكل مجرد "وزن" وإنما هو نوع من البناء لهذا يبقى ككل بناء، قابلا للتجدد والتغير"[2].

وبالتالي فأدونيس يرفض الوزن الخليلي المعروف، فهو يصرح بأنه لا يرفض الشكل بل يرفضه لأنه أصبح عبارة عن نموذج جاهز ومكرر، بل يدعو إلى التحرر من هذه النمطية والتكرارية وتجاوز القوالب القديمة المفروضة، فأدونيس يرى بأن للقصيدة العربية شكل جديد وهو وحدتها العضوية التي لا يمكن تفكيكها أو خلخلتها وتقويضها "لا نقصد أن نرفض الشكل، بوصفه شكلا بل بوصفه نماذج مشتقة وأصولا تقنية قبلية نقصد أن يتحرر الشعر من كل قالب مفروض،... فللقصيدة الجديدة كيفيتها الخاصة وطريقتها التعبيرية الخاصة ولها بمعنى أخر، نظامها الخاص فشكل القصيدة الجديدة هو وحدتها العضوية، هو واقعيتها الفردية التي لا يمكن تفكيكها..."[3].

[1] المصدر السابق، ص154.

[2] المصدر نفسه، ص154-155.

[3] المصدر نفسه، ص155.

يرى أدونيس بأن الشعر الجديد تجربة شاملة ومعقدة، ولكي ندركه وجب علينا أن نخلص عقليتنا ووعينا من الأمور التالية:

1-السلفية: وهي صفة التمسك بالماضي والتشبث به، ولعل هذه الصفة تكاد أن تكون سائدة ومنتشرة في أقطاب المجتمع العربي، بل منها ينبع مثلهم الأعلى يقول أدونيس: "فالعقلية السائدة في المجتمع العربي عقلية سلفية ينبع مثلها الأعلى من الماضي لا من المستقبل..."[1].

2-النموذجية: وهو الاحتذاء بنموذج معين والسير عل منواله وهو في منظور سالكيه تبلغ القصيدة كمالها الشعري به، بحيث يجب على الشعراء في المستقبل أن لا يخرجوا على هذا النموذج بل وينسجوا قصائدهم وينظموها على منواله "النموذجية، وأعني بها أن الكمال الشعري من وجهة نظر العقلية السائدة، كائن سابقا في التراث الشعري العربي وعلى الشعراء في المستقبل أن ينسجوا على منواله..."[2]

3-الشكلية: يرى أدونيس أن التعلق بالنموذج أدى إلى التعلق بالشكل فالشعر حسبهم صناعة وألفاظ وليس رؤيا، يقول أدونيس عن الشكلية: "فالتعلق بالنموذج أدى إلى التعلق بالشكل، فليس الشعر من وجهة نظر العقلية السائدة، رؤيا، بل صناعة ألفاظ..."[3].

4-التجزيئية: إن العقلية السائدة كما يرى أدونيس تنظر إلى القصيدة كأجزاء منفصلة ومستقلة، وكل بيت في معناه مستقل عما قبله وعما بعده، فالأصح هو أن ينظر إلى القصيدة ككل ووحدة، يقول أدونيس: "فلا تنظر العقلية السائدة إلى القصيدة ككل وكوحدة بل

[1] المصدر السابق، ص160.

[2] المصدر نفسه، ص160.

[3] المصدر نفسه، ص160.

تنظر إليها كأجزاء منفصلة مستقلة، وينفرد كل بيت بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ..."[1]

5-الغنائية الفردية: ويقصد بها تذوق النص الشعري وفهمه على أنه في مجمله قصيدة شعرية فردية تعكس انفعال الشاعر كفرد وعليه "فقد درجت العقلية السائدة في المجتمع العربي على فهم أو تذوق الشعر العربي الذي هو غنائي فردي في مجمله، إذ يعكس انفعال الشاعر كفرد، أو أوضاعه الاجتماعية كفرد"[2].

6-التكرار: من المعلوم أن الثقافة العربية الموروثة ثقافة تقليد وإتباع، ثقافة إعادة وتكرار فهي تدور في عالم مغلق لا حركة فيه، يقول أدونيس عن التكرار: "فالثقافة العربية الموروثة السائدة ثقافة إعادة وتكرار إنها تدور ضمن عالم مغلق لا حركة فيه هذه الثقافة حقائق أبدية أزلية، لا يجوز تخطيها "[3]

ثالثا: التجريب والثورة

نَعْرِفُ أن أبسط معنى للثورة هو: "أنها تغيير..."[4] وعليه فالثورة يقصد بها التغير والتحول والتجاوز والإبداع، وحسب أدونيس أن الشعر التجريبي هو: "وحده الشعر الجديد، وهو وحده الشعر الثوري ..."[5].

[1] المصدر السابق، ص161.
[2] المصدر نفسه، ص161.
[3] المصدر نفسه، ص161.
[4] المصدر نفسه، ص233.
[5] المصدر نفسه، ص149.

فالشعر الثوري شعر تغير وتحول وإبداع ولعل أهم ما يميزه هو قتل السائد وتخطيه وتجاوزه ودعوته إلى الحرية والتجديد، لأن هذا الشعر هو: "شعر الحركة والتغير والتخطي شعر الواقع الشامل الذي يفتن عصرنا الميت من أجل أن يولد عصر جديد أخر..." [1]

فأدونيس يرى بأن الثقافة الثورية الحقيقة هي: "الثقافة التي تنبع من المستقبل وإمكاناته تحرره من الخضوع للماضي، تنمي فيه القدرة على تجاوز الحاضر وتهيئه لمعانقة المستقبل"[2].

من الملاحظ أن أدونيس يرى بأن الثورة حركة وفعل تدفع بالإنسان إلى محاولة المضي قدما، وتجعله يتخلص من شباك الماضي، ويتحرر من الخضوع له ولأغلاله وسلطته، فالثورة حركة تجعل الإنسان مهيئا لاستقبال المستقبل ومعانقته، ولهذا توجب على الشاعر الثوري أن يتخلص من أشكال النظام القديم ويتجاوز الأنظمة الموروثة والمعتادة، بل ويعمل جاهدا على هدمها من أجل خلق نظام ثوري جديد وترسيخه في وعي مجتمعه، يقول أدونيس في هذا الشأن: "إن دور الشاعر الثوري هو في أن يفجر أشكال النظام القديم أي دوره هو في العمل على تفكيك البنية الثقافية القديمة وهدمها من أجل ترسيخ البنية الثورية الجديدة ..."[3]

لقد اكتسبت حركة الثورة قيمة بارزة في حياة المفكر والناقد أدونيس، وحسب الذي بين أيدينا نلاحظ أنه قد أولاها أهمية كبرى، وذلك في محاولته نشر طابع التجديد والإبداع والخلق المستمر، والتخلص من طابع التكرارية والجمود والنموذج الجاهز ففي رأيه الثورة ما هي إلا: " ثورة، لأنها تلغي النموذج لأنها، حصرا، إبداع ..."[4].

---

[1] المصدر السابق، ص189.

[2] أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط3، 2010م، ص175.

[3] أدونيس: زمن الشعر، ص233.

[4] المصدر نفسه، ص248.

ومن المعروف أن العقلية السائدة في المجتمع هي العقلية السلفية أو النموذجية، أي عقلية التمسك بالماضي والتعلق به، وإزاحة مكانته، لهذا حاول أدونيس أن يدخل ساحة الماضي بالثورة وأن يتجاوزها بالإبداع والتجديد، فالثورة هي الفعل الوحيد الذي يخلص الشعوب من سلاسل التخلف، بل تخلق سبلا وطرقا جديدة تخلصه من النمطية والتكرارية المألوفة، فالثورة حسب أدونيس هي هدم للجاهز وهدم للنموذج يقول أدونيس: " ثمة مرض أخر ينخر كيان الشعوب المتخلفة هو ما يمكن أن أسميه "عصاب الماضي"، من علامات هذا المرض البقاء المطمئن داخل أسوار الماضي ونماذجه، والعجز الذي يرافق هذا البقاء عن فهم الماضي واستخراج الأمثلة من تجاربه وأحداثه. أن نثور هو أن نخلق تفكيرا جديدا ومسلكية جديدة ... أن نثور هو أن نهدم النموذج ..."[1].

إن الثورة هي فعل التمرد على أشكال التعابير الموروثة، هي حركة التغيير في طرق الفهم، الثورة تجاوز للمسبق والماضي هي إذا نظرة جديدة يصنعها الشاعر الثوري بعقله ووعيه لضرورة واحدة وهي: ضرورة التجديد وتجاوز الماضي المألوف لأن الشعر هو المسؤول الوحيد على إحياء هذه الحركة أي حركة الثورة محاولا بث روح الإبداع وبعث الخلق الجديد فيها لأن الثورة من منظور أدونيس تؤدي حتميا إلى: "تفكك البينة الحضارية القديمة وزوالها، كل ثورة على المحتوى هي بذلك ثورة على الشكل، وثورة في طريقة الفهم والنظر، إن الثورة تتضمن الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة..."[2].

وهي أيضا: "ثورة على العادات والأخلاق والسياسة، وعلى العقل أو التقليد، أو عليهما معا...، ورفع راية الحلم والحرية، والكتابة خارج كل معيار سلفي أو ماضوي..."[3].

[1] المصدر السابق، ص249.

[2] المصدر نفسه، ص211.

[3] المصدر نفسه، ص99.

فالثورة تسعى إلى النهوض ضد السلطة لكي تغير في الواقع وتتجاوز الحياة القديمة، أي ثورة على العادات والتقاليد، وثورة على الثبات والسكون والتكرار، ورفع راية التمرد المستمر والرفض الشديد على كل قديم معياري وثابت، ومحاولة التطلع على الجديد والمختلف وذلك عن طريق التغيير الكامل والشامل في جميع بنى المجتمع التقليدية، ومحاولة الكتابة خارج الأنظمة النموذجية المسبقة.

يمكن أن نستخلص أن الثورة والتجريب يلتقيان في عنصر مهم جدا، وهو السعي إلى تغيير الأوضاع السائدة، والحلم والتوق إلى الحرية، فجوهر التجريب هو الثورة المستمرة التي لا تنطفئ أبدا.

رابعا: التجريب والتجاوز

تعد مقولة التجاوز من المقولات الأساسية التي بنى عليها أدونيس نظريته الشعرية، إذ يؤكد أدونيس في حديثه عن التجاوز أنه لا يقصد به نفيا للماضي ومحاولة تخطيه، بل يعني بفعل التجاوز هو تجاوز في طرق الكتابة وأساليب التعبير القديمة التي لم تعد لها القدرة الكافية لكي تخدم غرض الشاعر، وتستجيب لحياته وتجاربه بمعنى آخر تجاوز للغة التي أصبحت قوالب وأنماط يرى الشاعر فيها بأن زمنها قد ولى وذهب، وبالتالي لم تعد هذه اللغة التي يمتلكها تفي بالغرض الذي ينشد إليه، لهذا تجاوز ما مضى وراح يبحث عن لغة جديدة تشع بدلالات لا نهائية، يقول أدونيس: "لا يتضمن مفهوم التجاوز كما أستخدمه، نفيا للماضي أو تجزيئا له، وإنما أعني به تجاوز الجوانب المؤسسية المستنفدة منه، أي تجاوز طرق الرؤية والكتابة واستخدام اللغة لم تعد قادرة على الاستجابة لحياة الشاعر وتجربته"[1]. بمعنى أن أدونيس يخص تجاوز نوع معين من الكلام والأساليب اللغوية، كلغة المديح، ولغة الغزل، ولغة السياسة ...الخ، لأن هذا النوع من اللغة يجعلنا نعود أدراجنا إلى عهد سالف

[1] المصدر السابق، ص143.

وماضي للغة، يقول أدونيس: "إنه تجاوز لمستوى معين من الكلام الشعري القديم، يردنا إلى اللغة في نضارتها الأولى..."[1].

ولهذا يطرح السؤال التالي: بما أن أدونيس يعني بالتجاوز، تجاوز نوع معين في أساليب الكلام والتعابير بالتالي: هل ماضينا قابل للتجديد والتحديث؟

نجيب: "إن تراثنا عريق غني، لا يقل في تطوره وفي تقبله للجديد عن أي تراث إنساني آخر"[2]، ويجيب أدونيس عن هذا التساؤل بقوله: "يجب أن تبقى معرفة الماضي مفتوحة، لكي تغتني باستقصاءات جديدة تكشف عن أشياء وعلاقات لم تكن واضحة أو معروفة، فإعادة النظر الدائمة في الماضي هي التي تجعل صورته الفنية والثقافية حية باستمرار، وتحوله إلى حضور فعال..."[3].

لهذا نقول: إن الغرب انطلق من تراثه في بناء حداثته والغرب قوي وقادر على ابتلاعنا إذا حاولنا أن نكون نسخا عنه...، إن قيمنا وعاداتنا وتراثنا هي الملجأ الوحيد الأمين الذي يقينا ويحفظ شخصيتنا، فإن ضاعت الهوية فلا حداثة لا تجديد ولا معاصرة ولا غير ذلك من أسماء براقة، وإنما هناك تبعية وتقليد وجمود وانحدار، ثم إن تجارب المبدعين الكبار وآرائهم كانت دائما إلى هذا الجانب وأكبر مثال على ذلك دعوة جبران خليل جبران والسياب وغيرهم للحفاظ على الشخصية العربية، في مجال الشعر، في موسيقاه[4].

من المؤكد أن نفس الموقف نجده عند أدونيس، لهذا نجده يقول: "الماضي (الذي هو موطن الكمال في كل شيء)، ينبوع تتولد منه أنواع الكمال، في مختلف الميادين، ... وإذا لا جديد بالمعنى العميق، لأن القول بالجديد يفترض القول أن القديم (الماضي) ناقص

[1] المصدر السابق، ص143.

[2] خليل موسى: الحداثة اليوم، مجلة الحداثة، ص57.

[3] أدونيس: زمن الشعر، ص144.

[4] ينظر: خليل موسى، الحداثة اليوم، ص58.

أو أن فيه فراغا إبداعيا، فالقديم (الماضي) هو في ذاته جديد، والشعر (والفكر) إنما هو حركة من استعادة الأصل..."[1]

كما نجد أدونيس قد دعا إلى تجاوز العصر والتمرد عليه، كما نجده أيضا قد دعا إلى تجاوز الواقع الراهن من أجل البحث عن واقع أشمل وأغنى، تزول في إثره جميع العادات والتقاليد البالية والأشكال التقليدية الموروثة، فالشعر الجديد بهذا المفهوم هو: "تمرد على الأشكال والطرق الشعرية القديمة فهو تجاوز وتخط يسايران تخطي عصرنا الحاضر وتجاوزه للعصور الماضية ... والشاعر لا يرضى بالمعنى الذي تضيعه العادة الإنسانية على الأشياء مهما كان مفيدا، ويبحث لها عن عنى أخر، ومن هنا ينفصل عن التقليد والعادة، ويصبح دوره في أن يوقظنا ويخلصنا من الأفكار المشتركة الضيقة..."[2].

إن الشعر الجديد حسب أدونيس هو تجاوز للواقع لأنه: "يغير إيقاع نقل الواقع بإيقاع إبداعه حيث يستحدث واقعا أغنى وراء وقائع العالم ذلك هو طريق الشعر الحداثي كونه يسعى الى التخلص من كل شيء مسبق ومن الآراء المشتركة جميعا..."[3].

يرى أدونيس بأن الشعر الحديث: "تغير في طريقة التعبير وهذا التغيير يقود بالضرورة إلى تغير في طريقة التقويم"[4].

من هذه الرؤية نجد أن أدونيس يربط الشعر الجديد بالتغيير أي التغيير في أساليب التعبير، وطرق الكلام وبالتالي هذا التغيير بالضرورة هو رفض لأشكال التعبير الموروثة وتجاوز التكرارية والنموذجية السالفة، بعبارة أخرى "يلزمنا تجاوز الموروث الثابت"[5] الذي

---

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص146.

[2] المصدر نفسه، ص268.

[3] بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص531.

[4] أدونيس: زمن الشعر، ص272.

[5] المصدر نفسه، ص273.

أصبح عبارة عن قوالب وأنماط جاهزة ويخص أدونيس هذا التغيير أمرين مهمين هما: اللغة والشكل.

ففي "**اللغة**" يرى أدونيس أنه يتوجب على الشاعر الجديد الذي نعته بأنه فارس، يجب أن يفرغ الكلمات من طابعها القديم ويدخلها في طابع جديد، ويشحنها بطاقة جديدة ودلالات مغايرة ومختلفة تجعل اللغة لغة ثانية لا عهد لنا بها، لغة غير مألوفة، تكتسب طابع الجدة والتحديث، هذه اللغة هي النفاذ والملجأ الوحيد لكي نكتشف أسرار وخبايا الشاعر، يقول أدونيس:[1]" الشاعر الجديد فارس ينتشل الكلمات ينسجها كلمة كلمة من نسيجها القديم يخيطها كلمة كلمة في نسيج جديد، إذ يفعل ذلك يفرغها من شحنتها القديمة من دلالاتها وتداعياتها. يملؤها بشحنة جديدة تصبح لغة ثانية لا عهد لنا بها، ... إنها مفاتيحنا إلى عالم الشاعر"[2].

أما "**الشكل التعبيري**" حسب أدونيس فهو تخط وتجاوز للشكل التعبيري المألوف إلى شكل تعبيري آخر مختلف ومغاير، غير مألوف، من جهة هو شكل جديد يتضمن تجاوز الشكل الثابت أو بالأحرى النموذج المألوف المكرر الذي سار وفقه الشعراء ومن جهة أخرى نتجاوز الأوزان الخليلية المعروفة، يقول أدونيس: "الشكل التعبيري غير المألوف هو علامة ثانية على التغيير. هكذا نرى أن الشكل الشعري الجديد يتضمن من ناحية تجاوز الشكل ... ويتضمن من ناحية ثانية تجاوز الوزن..."[3].

إن أدونيس يعمل جاهدا من خلال كتاباته على بلورة أفكار، طرق وأساليب تكون أكثر تجريبا وحداثة، تمكنه من الانطلاق نحو خلق تجربة شعرية جديدة تمتاز بالكمال والشمولية

[1] المصدر السابق، ص198.

[2] المصدر نفسه، ص272.

[3] المصدر نفسه، ص272.

فالشعر الجديد يبنى على التجريب الذي هو أساسا رؤيا وثورة وتجاوز لتلك المفاهيم المكررة والمستقرة، هو بداية دائمة وإبداع مستمر.

فالشعر التجريبي العربي أولا هو: ليس متابعة ولا انسجاما ولا ائتلافا، وإنما هو على العكس اختلاف.

وثانيا هو: بحث مستمر عن نظام آخر للكتابة الشعرية.

وثالثا هو: تحرك دائم في أفق الإبداع، لامنهجية مسبقة، بل مفاجآت مستمرة.

ورابعا هو: ليس تراكما، كما هي الحال في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بل بداية دائمة[1].

خامسا: أسس التجريب عند أدونيس

مما تقدم وسبق نصل إلى أهم أسس التجريب عند أدونيس نذكرها كما يلي:

_ المحاولة الدائمة لتجاوز كيفيات وطرق التعبير المستقرة.

_ رفض التكرارية والنمطية.

_ التمرد على النموذجية والجمود.

_ محاولة ابتكار طرق وأساليب جديدة في التعبير.

_ تجاوز الراهن والآني من أجل الكشف عن بديل أشمل وأعمق.

_الشعر الجديد رؤيا، والرؤيا هي محاولة القفز عن دائرة المفاهيم السائدة.

[1] ينظر: المصدر السابق، ص356.

_ تغييره لمفهوم الشعر ودعوته لتلقيه على أساس أنه فن يتطلع ويتخطى، واعتبره رؤيا وكشف.

_ إزاحة ستائر الألفة والعادة ومحاولة إيجاد أشكال تعبيرية جديدة ومعاني توليدية تكشف صورة العالم الحقيقي.

_ محاولة التجديد في الشعر والأدب ونمط الكتابة والموضوعات والأشكال.

_ ثورته على الوزن والقافية والنظام الشعري القديم، ففي منظوره ليس الوزن والقافية وحدهما يشكلان شعرية القصيدة.

_ دعوته الى التجديد في اللغة وحسن استعمالها.

_ التحرر من النماذج المسبقة والقوالب المفروضة.

_ شكل القصيدة الجديدة هو وحدتها العضوية.

_ الشعر الثوري هو شعر التخطي والحركة والتغيير، به نتجاوز الواقع الميت لنصل إلى واقع حي أغنى وأشمل.

_ الثورة تحرر الشاعر من الخضوع للماضي، تحفزه على تجاوز الحاضر، وتهيئه لاستقبال الآتي والمستقبل.

_ الشاعر الثوري دوره هدم البنية الثقافية القديمة، ومحاولة المجيء ببنية ثقافية جديدة ومحاولة ترسيخها.

_ الثورة إبداع، لأنها محاولة لإلغاء النموذجية والتكرارية.

_ رفع راية الحرية والكتابة خارج أسوار المعيارية.

_ الثورة على العادات والتقاليد والعقل.

_ النهوض ضد السلطة وتغيير الواقع، والقيام بحركة الكشف والتجاوز للحياة القديمة الهرمة.

_ رفضه النظام السائد بكل ما يحمله، وفي شتى المجالات (سياسيا، ثقافيا، دينيا).

_ تجاوز الماضي لا يعني تجاوزه على الاطلاق وإنما يعني تجاوز لأشكاله ومفهوماته.

إن الشعر الجديد يجب أن يُبنى على التجريب الذي هو أساسا رؤيا وثورة وتجاوز لتلك الأساليب المكررة والمفاهيم المستقرة الجامدة، فهو بداية دائمة وإبداع مستمر بطرق وأساليب تكون أكثر تجريبا وحداثة، تمكن الشاعر من الانطلاق نحو خلق تجربة شعرية تمتاز بالجدة والكمال والشمولية.

الفصل الثاني: أسس الكتابة الجديدة

عند أدونيس

أولا: موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة

1_ مفهوم التراث

أ –لغة

ب–اصطلاحا

2–موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة

ثانيا: الكتابة الإبداعية والحداثة الشعرية

ثالثا: بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية

رابعا: أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس

أولا: موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة

تمهيد:

يعد التراث مخزون أي أمة، فقد حظي بمكانة مرموقة وكبيرة في الساحات الأدبية والنقدية، فانكب النقاد والدارسون والأدباء في دراسة هذا المخزون، فكثرت الأقلام وتعددت التحاليل والدراسات واختلفت الآراء وتضاربت وجهات النظر حول هذا الموضوع لذا نجد وارث الحسن يقول: "نحن أمة لها تاريخ عريق، ولها حضارة وتراث نستطيع أن نستفيد كثيرا ونفيد غيرنا باقتباسنا من هذا الماضي المجيد كله، في بناء حاضرنا ومستقبلنا، ولن تتأتى لنا الاستفادة كاملة ولا شك ما لم نعمل على تنقية ذلك التراث مما علق به من الزوائد والشوائب التي زادته غموضا وإبهاما ، إن لم تكن قد أفسدته " [1].

فقد رأى فارح مسرحي بأنه:" كان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م حدوث إجماع لدى المفكرين العرب والمسلمين على ضرورة إعادة قراءة التراث الإسلامي ... فقد مرّ قرنان من الزمن على الإرهاصات الأولى للفكر العربي الحديث ولا تزال مسألة إعادة قراءة التراث مطروحة بحدّة."[2].

ويذهب محمد عابد الجابري، بأن كلمة التراث لم تشهد هذا الاهتمام الكبير في الفكر العربي، كما تشهده اليوم وهي كلمة ارتبطت بالثقافة العربية حتى أصبح من الصعب ترجمتها للغة أخرى، بسبب ما تحمله من دلالات عميقة تخص الوجدان العربي ومعتقداته يقول:" لعل أول ما ينبغي إبرازه هنا، هو أن تداول كلمة "تراث" في اللغة العربية لم يُعرف في أي عصر من عصور التاريخ العربي من الازدهار ما عرفه في هذا القرن العشرين، بل

[1] وارث الحسن: التطور والتجديد في شرح الشعر العربي القديم بين المشرق والمغرب، مؤسسة الوارق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013 م، ص15.

[2] فارح مسرحي: الحداثة في فكر محمد أركون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص87

يمكن القول منذ البداية أن المضامين التي تحملها هذه الكلمة في أذهاننا اليوم نحن عرب القرن العشرين، لم تكن تحملها في أي وقت مضى"[1] ويواصل قائلا: "ومن جهة أخرى يمكن أن نلاحظ أن الإشباع الذي يتميز مفهوم التراث في خطابنا العربي المعاصر يجعله غير قابل للنقل بكل شحناته الوجدانية، ومضامينه الأيديولوجية إلى لغة أخرى معاصرة ."[2]

ولهذا فإذا أراد المسلمون أن يتحرروا، فمهمة نقد التراث وغربلته وتنقيته من الشوائب ضرورة حتمية، ومسألة مهمة لابدّ منها لهذا فالجابري يرى بأن: "أزمة الإبداع لا يمكن تجاوزها إلا بالعمل على إعادة قراءة تراثنا قراءة نقدية معاصرة."[3].

ولعل أدونيس من بين أبرز النقاد والمفكرين الذين اهتموا بالتراث اهتماما كبيرا ودرسوه وألفوا حوله الكتب والمقالات، ولمعرفة موفق أدونيس من التراث وجب علينا أن نتساءل أولا: ما مفهوم التراث في اللغة والاصطلاح ؟؟ وما موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة ؟.

1_ مفهوم التراث:

أ –لغة:

جاء في لسان العرب: "ورثَ: الوارثُ، صفةٌ من صفاتِ الله تعالى ... ورِثهُ مالهِ ومجدهِ ووَرثهُ عنه وِرْثاً، وَوِراثةٌ وميراثٌ، والتراثُ: ما يخلُفهُ الرجل لورثتِهِ ".[4]

---

[1] محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،1991م ط1، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص21.

[3] محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1989م ص62.

[4] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، مج 3، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م ص907.

فالتراث كلمة عربية فصيحة، وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وتأْكلونَ التراثَ أكلاً لماً"[1]، والمقصود بها في هذه الآية تأكلون الميراث أكلا شديدًا، حيث كان العرب في الجاهلية، يأكلون ميراث النساء والأولاد الصغار أكلاً شرهاً جشعاً، أي يأخذون نصيبهم ونصيب غيرهم ممن لا حول له ولا قوّة ".[2]

ب –اصطلاحا:

تعَد إشكالية التراث وما يرادفها من مثل الأصالة أو القديم وغيرها، إشكالية قديمة جديدة في آن معا، قديمة لأنها بدأت منذ الاحتكاك بالغرب، وجديدة لأنها لم تنته بعد، وما نزال نعيش خلالها، فقد كان النّاس يطلقون اسم القديم، ويعنون به كل ما يمتُ بصلة إلى تراثنا الموروث من دين وتقاليد، بينما كانوا يعنون بالجديد كل طريف طارئ علينا مما هو منقول في معظم الأحيان عن الأوربيين، فالمقلدين كانوا هم الذين يقلدون آباءهم وأجدادهم، في حين أنّ من يسمون بالمجددين، كانوا هم الذين يقلدون الأوربيين.[3]

ويعرّف التراث على أنه: " مجموع ما وصلنا مما أنتجه الأقدمون من فكر، وما تركوه من أثر ".[4]

ويعطي عبد العزيز ضويو، مفهوم التراث بعدًا حضاريا معاصرًا، ينطلق من وعيه بأن التراث: " موجود في الوعي الاجتماعي المعاصر، فالتراث حكمٌ ومرجعٌ يجب أن نعود إليه في تعاملنا مع العصر، وعلى التراث أن يتّسع ليشمل أسلوب الحياة وأدوات الإنتاج وأساليبه

[1] سورة الفجر، الآية 19.

[2] ينظر: فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، ص89.

[3] ينظر: أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، ص13_14.

[4] إبراهيم أحمد ملحم: منزلات الرؤيا الشاعر العربي المعاصر وعالمه، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن ط1، 2010م ص75.

والقيم والعادات والتقاليد".[1] فالتراث إذا بمعناه الواسع هو ما خلّفه وتركه السلف والأقدمون من ماديات ومعنويات، أيا كان نوعها.

ويرى خالد الغريبي بأن كلمة الأصالة توحي بأن: "التراث لا يعدو أن يكون رصيدا معرفيا وقيمياً ومستقلا بذاته وإيجابيا بالضرورة ".[2] إذا فالأصالة هي الماضي ـ التراث ـ خصوصا إذا نُظِرَ إليها في محور زمني معين، لذا نستطيع أن نقول أنّ الأصالة هي: "الموروث الثقافي الخصيب بحمولاته الاجتماعية والأدبية والعلمية والثقافية والتاريخية والحضارية عامة".[3] بصيغة أخرى هي الجذور الصلبة المكوّنة لشجرة المعرفة، التي تترامى أغصانها في عهود وحِقب زمانية مختلفة.

إذا، فالتراث هو كل ما تركته لنا الأجيال الفائتة والسابقة، من إنتاج فكري أو حضاري فهو يشمل ويضُم كل ما تراكم خلال الأزمنة الفارطة من عادات وفنون وتجارب، وعلوم لدى شعبٍ من الشعوب أو أمة من الأمم.

2-موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة:

يعترفُ أدونيس أنّه منذ بداية الخمسينات، في كتاباته كان يكتب من العدم أو من الفراغ أو بالأحرى في كتاباته كان ينطلق من اللاّشيء ويكتب انطلاقا من الفراغ أو الغياب الذي يملؤه الشك والحيرة الدائمين في كل شيء يحرره ويكتبه يقول: " أذكر أنني، منذ بداية الخمسينات كنت أعيش مدفوعا بشعور غريب إلى الابتعاد، شعريا عن العيني المباشر كنت أشعر أنني كمن ينطلق من لاشيء أومن غياب ما، أو كمن يعمل على تشويش الحدود

[1] عبد العزيز ضويو: التجريب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص20.

[2] خالد الغريبي: جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، ص24.

[3] المرجع نفسه، ص24.

الفاصلة بين الواقع والخيال، ففي دخيلتي كان يقيم شك في كل شيء معطى ".[1] حتى أنه عندما كان يكتب عن الواقع مثلا ليس كرسمٍ أو إعادة له، وإنما محاولة منه لإظهار الخفي والباطن الذي يندّسُ وراء الواقع، وهنا نجده يقول: " وحين كنت أتناول شيئا واقعيا فليس لكي أرسم الواقع، وإنما لكي أحاول أن أظهر العمق الذي يختبئ وراءه".[2]

عمر أبو ريشة، الجواهري، بدوي الجبل، من بين الشعراء الذين اعترف أدونيس بأنه كان يخفي إعجابا كبيرا بهم، حتى أنه تساءل كيف أكدّ هؤلاء حضورهم الشعري في نفسه بالرغم من أنهم كانوا من بين الشعراء الذّين هم دائمي التمسك بحبال الماضي والتراث التّليد الذي يهرب ويفِر هو شخصياً منه: " لكن، أعترف أنني كنت من أضمرُ إعجابا لا أعرف كيف أفسره بشعر بدوي الجبل، وعمر أبو ريشة، والجواهري، وكنت أتساءل: كيف استطاع هؤلاء أن يؤكدوا حضورهم الشعري في ذائقتي، فيما هم يستعيدون النّسق التأليفِي القديم الذي أهرب منه؟..."[3].

ومع الوقت أدرك أدونيس وتيّقن أن كلا من الشعر القديم والشعر الحديث، ينتميان إلى دائرة واحدة، وهي شعرية اللغة العربية فالقضية حسبُه ليست قضية أصل تنبثق منه فروع وإنما القضية هي قضية الكتابة والتغيير بطرق مختلفة، وأساليب مغايرة وأشكال أخرى متغيرة وجديدة، وذلك حسب ما تتطلبه طبيعة الحياة والواقع في شتّى المجالات، يقول:" في كل حال، أخذتُ أرجّح القول إنّ شعر ما قبل الإسلام والشعر اللاّحق ينتميان إلى أصل مشترك واحد: شعرية اللغة العربية. وليست المسألة إذا مسألة تسلسل، أو مسألة أصل تنبثق عنه

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص52.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] المصدر نفسه، ص52.

فروع وإنما المسألة إبداع بأشكال وطرق ومنظورات مختلفة، تقتضيها طبيعة التغير في العصر، وفي الحياة والثقافة..."."[1]

ويقرّ أدونيس بأنه في مسألة محاربته للماضي، لم يكن يحارب الشعر القديم، أو بعبارةٍ أخرى لم يكن يحارب مخزون و تراث الأمة العربية بل على عكس ذلك تماما، كان يحارب الأشكال التقليدية، يحارب النموذج والتكرار، النمطية والقوالب النصّية الجاهزة، حتى أنّه عندما أخذ يرجع إلى الماضي والنبش في تراثه العتيق ليس رجوعا وعودة لتلك النمطية والتقليدية، بل عودة ورجوع إلى تلك القوى الشعورية واللاشعورية ، وأنواع مختلفة ومستويات معينة في وعي الشعراء قديما وكيفية نظرتهم للحياة والعالم المحيط بهم ، وعودة كذلك إلى ذلك المخزون النفسي الكامن والمخبوء والمندس وراء كلمات الشاعر قديما، يقول في هذا الصدد: ... ولهذا حين أخذت أحارب الماضي، لم أكن أحارب الشعر القديم، وإنما كنت أحاربُ الموقع التقليدي وحين أخذتُ أعودُ بالمقابل إلى الشعر القديم، لم أكن أعود إلى الماضي التاريخي ومواقعه التقليدية، وإنما كنت أعودُ إلى مستويات في الوعي، وتصورات للحياة والإنسان والعالم وحالات نفسية – روحية ".[2]

يقول أدونيس:" أعني بالصورة السائدة، المفهومات والأحكام التي تتبناها المؤسسة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، وتحافظ عليها وتدافع عنها"[3]

ولعل من بين المفاهيم والأحكام التي لطالما حافظ عليها أصحاب النظرة التقليدية السائدة مقولة أننا: لا نستطيع أن نقول عن العربي أنه عربي إلا بمدى ارتباطه الوثيق بتراثه وإيمانه العميق به ، خاصة إذا تحوّل الماضي إلى مجموعة من الأفكار والرؤى، التي تدفع الحاضر نحو آفاق المستقبل، وعليه يبطل في نظر هؤلاء القول بأن : "الماضي انتهى، أو أنه لم يعد

[1] المصدر السابق، ص52-53.

[2] المصدر نفسه، ص54.

[3] المصدر نفسه، ص59.

فعالا، أو إنّه ليس مشكلة خصوصا أن تحويل التراث إلى قوة أيديولوجية توجه الحاضر يرتبط بموقف تقويمي أخلاقي: لا يكون العربي عربيّا إلا بقدر إيمانه وارتباطه بتراثه ..."[1]

واستنادا على ما تقدم يؤكد أدونيس على أمرين هما:

الأول: التراث ليس مشكلة فكرية، وإنما هو كذلك مشكلة سياسية واجتماعية لهذا يجب التفطن لضرورة النقد، لكن نقد ماذا ؟؟ نقد الثقافة التقليدية المنتشرة، ونقد المفاهيم القديمة الفاسدة، مفهوم التراث خصوصا، ومفهوم الماضي عموما، يقول أدونيس: " ومن هنا يبدو أن التراث ليس مشكلة نظرية فكرية وحسب، وإنما هو أيضا مشكلة سياسية واجتماعية، وتبدو تبعا لذلك، أهمية النقد وضرورته، نقد الثقافة التقليدية السائدة، ونقد مفهوماتها خصوصا مفهومها للتراث، وللماضي بشكل عام".[2]

الثاني: إن الثقافة التقليدية السائدة، تنظر إلى التراث بوصفه جوهرا وأصلا، وإن كل نتاج يأتي بعده ما هو إلا فرع انبثق وانحدر منه، ولكن الأصح في رأي أدونيس هو أن يُنْظَرَ إلى التراث كنتاج ثقافي معين، مرتبط بنظام معين، في مرحلة تاريخية معينة، لذا فإن ما نسميه تراثا: " ليس إلا مجموعة من النتاجات الثقافية التاريخية التي تتباين حتى درجة التناقض لذلك لا يصحُ البحث في التراث كأصل أو جوهر أو كُل، وإنما ينبغي البحث في نتاج ثقافي محدد، في مرحلة تاريخية محددة ".[3]

يأتي لنا بعد ذلك أدونيس بسؤال جوهري وهو كالآتي: ما معنى أن يقال عن شاعر عربي معاصر أنه خارج على التراث، فيجيب على ذلك أن معناه:

_ هذا القول حكم من الثقافة التقليدية السائدة.

---

[1] المصدر السابق: ص55.

[2] المصدر نفسه: ص56.

[3] المصدر نفسه، ص56.

_ هذا الشاعر يفسد الوحدة بين السيادة على النظام، والسيادة على الكلام، أي أنه يخلخل سيطرة النظام القائم وسيطرة ثقافته.

_ إن هذا القول إدانة سياسية وليس تقويما شعريا.[1]

ثم يطرح بعد ذلك سؤالا آخر: كيف تحدد علاقتك أنت الشاعر الحديث بتراثك الشعري العربي ؟؟ فيجيب على ذلك أيضا أنه:

_ لا معنى لهذا السؤال، ذلك أنني لا أستطيع أن أحدد علاقتي مع شيء غائم غير محدد وإنما أحددها مع شاعر معين.

_ وأجيب هنا بتساؤل: ماذا تعني العلاقة هنا؟

– إذا كان السؤال مطروحا بمنطق الثقافة السائدة، فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مؤتلفا مع تراثي، أي أن لا آتي بأي شيء إذا لم يكن أسلافي من الشعراء عرفوه ومارسوه وأقروه.

_ أما إذا كان السؤال مطروحا بمنطق الرؤيا، فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مختلفا عن أسلافي من الشعراء، الشاعر العربي الحديث قد يبدع ما يتنافى، شكلا ومضمونا، مع ما أبدعه أسلافه، هذا لا يعني أنه ينفي شعر أسلافه، أو أنه يكتب بالضرورة أفضل مما كتبوا بل يعني أنه يعبر عن تجربته الخاصة المغايرة في مرحلته التاريخية الخاصة المغايرة، ولهذا فإن عالمه الشعري مغاير بالضرورة.[2]

مما تقدم يؤكد أدونيس على ضرورة إعادة تقويم الثقافة العربية بجوانبها التراثية خصوصا في النقاط التالية:

_ دراسة وتحليل الأعمال الأدبية في معزل عن المنظور الديني.

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ص57.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص57_58.

_ ليس للمؤسسة، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أن تعتبر التراث إرثها الخاص.

_ الابتعاد عن تقديس التراث، باعتبار أنه نتاج بشر مثلنا قد يصيبون وقد يخطئون والحكم لهم أو عليهم لا يعني المساس بالشخصية العربية كما يرى البعض، لذلك يمكن أن نصادف اليوم شاعر عربي قد يضيف إلى التراث جديدا لا يعرفه الماضي وقد يكون أعظم مما عرفه، دون أن يعني ذلك أنه يهدم هذا التراث أو يرفضه.[1]

إذا فالمسألة الأساسية عند أدونيس، ليست مسألة رفض الماضي بصفته شيئا مجردا، أو موجودا وجودا موضوعيا خالصا، بل رفض تلك الكيفية التي تعتمدها الثقافة السائدة في عالمه في قراءة التراث: "هذه القراءة التي تعطي الموروث الثقافي سلطة على الحاضر شبه مطلقة..."[2]

ووفقا لما تقدم يبين أدونيس لنا موقفه من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة وذلك بناءً على الآليات التالية:

_ ليس التراث ما يصنعك، بل ما تصنعه، التراث هو ما يولد بين شفتيك ويتحرك بين يديك التراث لا يُنَقل بل يُخلَق.

_ ليس الماضي كل ما مضى، الماضي نقطة مضيئة في مساحة معتمة شاسعة.

_ جوهر القصيدة في اختلافها لا في ائتلافها، إنه الفرق الذي يعدد العالم ويكثره.[3]

من هذا الموقف نجد أن أدونيس يؤكد دوما على ضرورة الماضي والتراث خصوصا أن هذا الأخير له دور فعال في تشكيل الوعي العربي المعاصر، لدرجة قد يتساوى الماضي مع

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ص75.

[3] عادل ظاهر: أدونيس والإثم الهيراقليطي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2001م ص245.

[3] أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، دار العودة، بيروت، ط1 ،1978، ص313.

الحاضر نجد أدونيس يقول: "أعرف السلطان الذي يمارسه الماضي علينا، لكن أعرف أن هناك ماضيا وماضيا، الإنسان من جهة لا يقدر أن يتجاوز الماضي لأنه في دمه، لكنه من جهة ثانية، لا يكون حاضرا حيا ما لم يتجاوزه الإنسان الحي هو المتصل بماضيه المنفصل عنه في آن".[1]

من هذا يتبين للقارئ بأن علاقة أدونيس بالتراث هي علاقة اتصال وانفصال في آن واحد هذا الاتصال/الانفصال، النهل من الماضي وتجاوزه في آن هو: "التحدي الكبير الذي يجابه شعراء اليوم"[2]، بل هو دليل كافٍ على أن أدونيس لا يحاول أن يصطنع القطيعة مع الماضي أو التراث فهو يرى أن: " الماضي شرط حيوي لرؤية الحاضر، لكنه يجب أن لا يتحول إلى ثبات وجمود وتحنط، بل يجب استخدامه جسرا لرؤية المستقبل وعبوره"[3]. ولهذا فإن الأمر المطلوب هنا هو قراءة الماضي بكل حرية، أي قراءة وعي ونقد وحتى رفض خصوصا النمطية والتقليد، لا قراءة خضوع وانقياد واستلاب، ومن هنا يجب: " أن تنشأ مع كل شاعر طريقته التي تعبر عن تجربته وحياته لا أن يرث طريقة جاهزة ...".[4]

إن التراث حسب أدونيس: " ليس الكتب والمحفوظات والانجازات التي نرثها عن الماضي وإنما هو القوى الحية التي تدفعنا باتجاه المستقبل..."[5]، فالتراث عنده ليس كل ما تركه لنا الأولون، إنه فقط ذلك النتاج الذي يسهِمُ ويسعى في دفع حركة التغيير والخلق المستمر في المجتمع العربي، فهو يضيء الطرق والسبل التي تؤدي إلى مستقبل جديد وحاضر زاهر

---

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص167.

[2] سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص32.

[4] عصام العسل: الخطاب النقدي عند أدونيس قراءة الشعر أنموذجا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م ص45.

[5] أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص244.

"هكذا ينفصل الشاعر الجديد عفويا عن الماضي تقليدا ونقدا: عن مجموعة القيم والمفاهيم والآراء التي لم تكن ترى من تراثنا وشخصيتنا إلا الأشكال الخارجية والقوالب..."[1]

هذا الانفصال عن الماضي أو التراث يتيح للشاعر عدة أمور حسب أدونيس وهي:

_ فهم الماضي وزيادة الارتباط بينابيعه الحية.

_ فهم نفسه وفهم التراث.

_ تجاوز الماضي إلى المستقبل، والمعلوم إلى المجهول، والواقع إلى الممكن وما وراءه.[2] و"يقتنع أن لا يكتفي بالبحث عما يكمل العظيم في الماضي، وإنما يجب إلى هذا أن يبحث عما يتفوق عليه، ولا يعود ممن يجدون الفردوس في الماضي، وإنما يصير ممن يرون في عظمة الماضي دليلا على أن المستقبل سيكون أكثر عظمة ".[3]

ولذلك فإن أدونيس لا يطالب "بضرورة الخروج كليا عن الماضي فمثل هذا الخروج مستحيل لأنه خروج عن التاريخ ، فنحن لا نبدع المستقبل إلا في لحظة تتصل بالأمس والآن"[4]، وعليه فهو لا ينكر العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر وإنما أنكر فكرة التعصب والتمسك بالماضي، كما يرفض أيضا أن تكون كل كتابة يكتبها الإنسان شرحا وتفسيرا نمذجة وتكرارا، تقليدا وإعادة للكتابة الأولى أي كتابة الأقدمون لذا "مسألة العقم في حياتنا إذن ينبغي أن نعالجها أولا، وقوى الحلق والإبداع ينبغي أن نطلقها، وعند ذلك تنضوي هذه القوى بما علق بالتراث من زيف وضيق وجدب وإطلاق قوى الخلق والإبداع والتغير".[5]

---

[1] أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979م، ص104.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه، ص107.

[4] أدونيس: زمن الشعر، ص59.

[5] بشير تاوريريت: أدونيس في ميزان النقد أربع مسائل خلافية بين أدونيس ومعارضيه، مطبعة مزوار، بسكرة، الجزائر د.ط، ص37.

"أضيف إلى ذلك أن زمن الإبداع شيء آخر غير زمن التراث، فالآثار الإبداعية الماضية ليست لكي تزكي الآثار اللاحقة أو تولدها، وإنما هي لكي تشهد على عظمة الإنسان وعلى أنه كائن خلاق ".[1]

إن تراثنا يستطيع أن يكون متجددا، إذا كانت قوى الخلق والتغيير يقظة وحية ويستطيع أن يتجدد اليوم إذا استيقظت هذه القوى من جديد، وهي القوى التي لطالما وصفها أدونيس وأنعتها بالروح العميق.[2]

إن إحياء التراث يظل ضرورة علمية حضارية إنسانية قومية، لكل أمة تقدّرُ ما يستحق التقدير من تراثها وتحاول أن تفيد منه في حاضرها ومستقبلها، وتقدمه إلى الإنسانية هدايا تُتِمِ عن مقدار مهديها.[3]

إن الاهتمام بالتراث " ليس عملا تاريخيا ماضويا بقدر ما هو عمل حياتي مستقبلي والأمر لا يمكن أن يبقى، كما هو الآن، في حدود الوفاء النظري له والإشادة العاطفية به ... وإنما هو كذلك، أو قبل ذلك في الانتفاع به، والوفاء لأنفسنا من خلاله، إنه ليس زين، ولكنه سلاح، وليس تباعيًا وإدلالا، ولكنه قبل ذلك نوع من الإعداد ولون من كسب الثقة بالنفس..."[4]

نجد أدونيس في بضع أسطر له، قد ألقى عبارات تمُسُ كيان ووجود الإنسان العربي الذي هو في محاولة دائمة ، في السعي نحو التحرر والتغيير والخلق والتجديد في أدبنا، فالقارئ

---

[1] أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج1، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط.ج، 1994م ص147.

[2] ينظر: بشير تاوريريت، أدونيس في ميزان النقد، ص36.

[3] ينظر: يوسف حسين بكار، قضايا في النقد والشعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1984م ص83.

[4] شكري فيصل: التراث العربي خطة ومنهج، مجلة التراث العربي، مج5، ع3 ،1980، ص212.

الحقيقي لهذه العبارات ، والمتأمل حق التأمل فيها يجد أن هناك غاية مندسة وراءها ، فهو يحاول ويسعى جاهدا أن يبث الطموح ويغرس الإرادة في هذه الأجيال، لكي تنهض وتكسر الجمود والتكرارية ، وتدفع بأدبنا نحو الأمام لكي يعرف ازدهارا مثلما عرفه في عهد أبي تمام وأبي نواس ،وهنا نجده يقول: " كما أن العصر واحد ومتعدد، في آن، كذلك هناك ماضٍ وماضٍ، ولنا نحن ماضينا العربي ... نلتمسه في أبي نواس وأبي تمام وامرئ القيس ... ومئات العقول الخلاقة الأخرى في تراثنا العربي التي رفضت وتمردت على الأليف والموروث والعادي والتقليدي، والتي خلقت وجددت وأضافت، ولسوف نكمل ما بدأه هؤلاء، فنشك ونرفض ونغير، إذا استطعنا إيقاعات الخليل، ونثور ونهدم ونعلن الفوضى، وسنأمل أن نكون أغنى وأعظم مما كانوا".[1]

يؤكد أدونيس دوما على أهمية الماضي والتراث في تشكيل الوعي العربي، لأن التراث يظل ضرورة علمية وإنسانية وحضارية، لا نستطيع بتر جذوره لذا فالمبدع الحقيقي لا ينكر ماضيه بل ينطلق منه في بناء حاضره، لأن القول بالانقطاع التام ما هو إلا نوع من القفز وحركة بلا جذور، أما الاتصال الدائم بالتراث فما هو إلا إعادة واجترار، وعليه يجب أن نسلك سُبُلَ التغيير والخلق والإبداع.

ثانيا: الكتابة الإبداعية والحداثة الشعرية:

إن الكتابة ممارسة فكرية وجمالية، تتأسس وتبنى وفقا لعلاقات المبدع بماضيه أولا وعلاقاته بحاضره وفكرته عن مستقبله ثانيا، ورؤيته لكل ذلك في إطار أشمل ثالثا[2]، وإن لعلاقة أدونيس بالحداثة تاريخ طويل ومتشعب، ففي عصرنا الحديث لم يرتبط أديب

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص 220.

[2] ينظر: سفيان زدادقة، الحقيقة والسراب، ص19.

بمصطلح الحداثة كما ارتبط به أدونيس، فقد كانت فكرة الحداثة حاضرة حضورا قويا كمفهوم في فكره وهذا ما لوحظ في جلّ أعماله وكتاباته.

إن الحداثة الشعرية حسب خليل أبو جهجة، ليست مذهبا أدبيا ذا مبادئ ونظريات محددة وإنما هي: "حركة إبداع تواكب الحياة في تغيره الدائم ".[1]

وفي اعتقاد محمد الجابري بأنه " لا توجد حداثة واحدة وإنما هناك حداثات، فلكل ظرف تاريخي حداثة معينة ".[2] وهذا ما يؤكد عليه أدونيس بأن الحداثة ظاهرة عالمية لم تقتصر على شعب بعينه إنها: " مناخ عالمي ـ مناخ أفكار وأشكال كونية ـ وليست مجرد حالة خاصة بشعب معين، إنها حركة عامة وشاملة، والمشاركة تعني التقاءً وائتلافا، كما تعني الافتراض والاختلاف، والمسألة إذن هي مسألة الإبداع والخصوصية في هذا المناخ العام وليست مسألة رفضه أو الانفصال عنه ".[3] ومعنى هذا أن نواة الحداثة وجوهرها هو الإبداع الذي تلتقي فيه جميع الشعوب والأمم، فلكل أمة ولكل شعب خصوصيته الثقافية واللغوية ولعل هذه الخاصية التي تميز الإبداع الأدبي عن غيره من العلوم الأخرى.

وعليه فالإبداع عند أدونيس، مكون أساسي في بناء الحداثة الشعرية، بل لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه " يعكس أغوار الحياة فهو رؤية ونبوة".[4] وفي ضوء ذلك يتحدد معناه على أنه:" فعل النشاط الإنساني الذي يتخطى الراهن والمعروف، ويولد الجديد غير المعروف ".[5] ولعل هذه النقطة الأساسية التي يتقاطع فيها مفهوم الإبداع مع الحداثة حسب

---

[1] خليل أبو جهجة: الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م ص17.

[2] محمد عابد الجابري: إعادة طرح الحداثة مرتبطة بصعود الإسلاميين، مجلة الحداثة، ص53.

[3] أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص253.

[4] أدونيس: زمن الشعر، ص170.

[5] أدونيس: الثابت والمتحول، ج1، ص146.

أدونيس، والتي يرى بأنها: " التغاير: الخروج من النمطية، والرغبة الدائمة في خلق المغاير..."[1]

ولهذا فالحداثة حال متميزة من حالات الإبداع الذي هو صفة مقترنة بها حتما والتي لا يمكن ولا ينبغي أن تنفك عن التمسك والتعالق الشديد معها، فالحداثة إذا "حال طازجة من حالات الفكر الإنساني، تلمسها واكتشفها الفن الحديث، والطزاجة تعني الحيوية والحرية والتجديد، وتجاوز حالات العفن والفساد والعبودية، إلى حيث شمس الإبداع وفضاء الحداثة".[2]

إن الحداثة إذا؛ من سماتها وصفاتها: الإبداع والتجديد والتغيير في الواقع أولا وفي الفكر ثانيا، واللغة ثالثا، على حد السواء، ولعل أي خلل أو عجز يصيب واحدة من هذه الصفات من شأنه أن يصيب مثلث الحداثة بتفكك أضلاعه وزوال بنيته.

فالإبداع بهذه الصورة شرط أساسي وضروري من شروط الحداثة، فلا توجد حداثة من دونه، لأن الإبداع دوره يكمن في ميلاد أساليب جديدة، ومعاني غير مألوفة فالحداثة إذا هي ظاهرة عميقة ولعل السبب الوحيد في تشكلها هو الإبداع الذي من أساسياته تجاوز الطرق التقليدية البالية، والتأسيس لآفاق جديدة ومغايرة، لأن الكتابة الإبداعية الحقيقية هي التي "تمارس تهديما شاملا للنظام السائد وعلاقاته، أي نظام الأفكار".[3]

لذا صرّح أدونيس مكررا أن الكتابة الإبداعية " تفكيك للسائد وتجاوز له، وأن الشعر على الأخص نقيض لكل سلطة ولكل مرجعية إلا مرجعية الإبداع ".[4] لأن الكتابة الحقيقية تقوم على الإبداع الذي يكمن دوره في أنه تقويض للسائد، وتشريح للمعروف الراهن، بحيث يقوم

[1] أدونيس وآخرون: الحداثة في المجتمع العربي القيم الفكر الفن، بدايات، دمشق، سوريا، د.ط، 2008م، ص17.

[2] علوي الهاشمي: الحداثة وسلطة الواقع، مجلة الحداثة، ص76.

[3] أدونيس: زمن الشعر، ص360.

[4] المصدر نفسه، ص108.

بتخطيه وتجازوه، لأن الكتابة الإبداعية هي كتابة تقوم على الحرية لا السلطة والمرجعيات السائدة، بل إن المرجعية الحقيقية للكتابة الشعرية الإبداعية هي الإبداع الذي يفرض علينا أن نلغي الطراز والشبه والنمط، وأن نؤسس سُبُلَ الحركة والتجاوز، الاختلاف والتفرد، لأن الإبداع هو: "الشروعُ أبدا والمسيرُ أبدا، والارتيادُ أبدا، وتحطيم العقبات التي تحُولُ دونه أبدا".[1] ولعل هذه العقبات هي النموذجية والنمطية والأشكال الموروثة المتكررة، فأن نكتب القصائد" ليس أن نفرض نموذجا، بل هو أن نفجر توهجا وأن نفتح طريقا ".[2]

لذا فالكتابة الشعرية هي تغيير وتحويل الواقع، وهذا ما يتطلب أمرين حسب أدونيس وهما كالآتي:

الأول: هو أن الكتابة ترفض الواقع السائد، وتنشأ رفضا له.

الثاني: إن أشكال تعبيرها تتعارض بالضرورة مع الأشكال التعبيرية المطابقة له[3].

ويعني هذا أن الكتابة الشعرية الإبداعية (الجديدة)، ترفض السائد –بنية وطريقة فهم وطريقة تعبير وعلاقات –وهذا ما يوضح لنا أن ممارسة الكتابة الشعرية الجديدة ما هو إلا انفصال عن الممارسة الكتابية التقليدية. [4]

ونظرا لما تقدم نستخلصُ أهم خصائص الكتابة الفنية –الإبداعية–نوجزها كالآتي[5]:

ـ الكتابة الفنية لا تصف الواقع، وإنما تعيد خلقه، تقدمه لنا متحولا في صورة جديدة في احتمال آخر.

---

[1] المصدر السابق، ص134.

[2] المصدر نفسه، ص134.

[3] المصدر نفسه، ص70.

[4] المصدر نفسه، ص72

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص90– 91.

ـ الكتابة الفنية ترفع أحداث الواقع وأشياءه إلى مستوى الرمز.

بمعنى أن الجملة في الكتابة الإبداعية أي الفنية، لها معان أخرى نجده تتدرج من العميق إلى الأكثر عمقا، ومن الشامل إلى الأكثر شمولية، بمعنى آخر إن الكتابة الإبداعية تحوّلُ المعنى إلى طبقات من المعاني، أي أنها تقول في المعنى الواحد معاني متعددة وكثيرة.

ـ اللغة في الكتابة الفنية تدل على الأشياء بحسب المنظور الذي تقرأ به.

يعني ذلك أن تعدد القراءات يكسب اللغة تعدد المعاني من خلال تشريحها وتفكيكها ثم إعادة بناءها حسب المنظور الذي قرأت به، هذا ما يجعل اللغة في الكتابة الإبداعية تكتسب العديد من المعاني والدلالات التي لا نهاية لها.

ـ الكتابة الفنية هي التي تجدد اللغة وتغنيها.

وذلك باعتبار أنها تمنحها تعددية الدلالة والمعاني، كما قلنا آنفا فاللغة في الكتابة في الإبداعية كما يرى أدونيس " لغة ولود، حُبْلى باستمرار".[1]

إن التجديد أو الابتكار إذا، هو السمة التي تجعل الإبداع في تقاطع دائم مع الحداثة، التي هي: "حركة، ودلالاتها الغالبة، إذن، كامنة في التغيير والفروقات لذلك لا يمكن أن تكون نظرية محددة، أو قواعد وقوانين محددة"[2]، فالحركية والتغيير وعدم الثبات هي أهم الصفات التي تمتاز بها الحداثة لأنها كائن لا نمطي ولا تقليدي.

ولأن الإبداع الشعري هو هذا "التوتر الرافض، المغير بين الواقع والممكن الماضي والمستقبل، الحياة كوضع مفروض أو جامد، والحياة كحركة وحرية[3]"، فإن الشاعر الحقيقي

[1] المصدر السابق، ص90-91.

[2] أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص259.

[3] أدونيس: زمن الشعر، ص115.

يخلق الواقع لا يعكسه أي أن دوره يتجلى في أنه يبدع فيه بصور وطرق جديدة، ومن هنا كانت" الفاعلية الشعرية متجهة إلى المستقبل، لا إلى الماضي، أي أن الشعر لا ينحصر فيما هو كائن، وإنما يتجاوزه إلى ما يكون، أو إلى لم يتحقق بعد"[1]، وبهذا المعنى نستطيع أن نقول إنّ الشعر لا يفسر الواقع، ولا يصنعه وإنما يغيره، أي يخلق واقعا آخر، وهنا تكمن روح الإبداع.

وعليه فالحداثة أولا، وقبل كل شيء هي: "تجربة جديدة تصدر عن رؤية جديدة للإنسان والعالم، في مقاربة جديدة للأشياء، ولغة شعرية جديدة "[2]، وبما أن الحداثة تجربة إبداعية تنبع من الرؤى الخلاقة للإنسان ، فهي تنبثق من الماضي متجهة صوب المستقبل، لأن الحداثة هي من يضيء لنا ذلك الماضي العتيق، لأنها تظهره لنا في حُلّةٍ وثوب جديد، فهي تستمد منه قوتها وحضورها، لذا فهي لا تحدث هكذا عبثا أو فجأة، بل على عكس ذلك تماما، هي: "حدث له أصوله وتراكماته ، ولا تهبط من خارج ، وإنما تحدث ضمن ما نرثه وفي اللغة التي نكتب بها".[3]

وعليه نستنتج أن الحداثة، ليست نفيا للقيم والآثار الإبداعية الماضية، لأنها حين تنفيها تنفي نفسها وذاتها، لأن القول بالانقطاع المطلق يجعل منها قفزا، وحركة بلا جذور، أما القول بالتواصل الخيطي، يجعل منها مجرد تكرار وإعادة[4]، لذا فنحن نرى أن "الإبداع الجديد متواصل مع الإبداع القديم، وأن الحداثة نوع من الاستمرار لما في الماضي من الرؤى الخلاقة"[5]، ويعني هذا أن الحداثة حركة تدفعها قوى الماضي للاتجاه نحو آفاق المستقبل لأنه " حين تخلو أمة من الشعراء المبدعين، فإن لغتها وثقافتها تموت، وربما غَزَتْها

[1] المصدر السابق: ص114

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص141.

[3] المصدر نفسه، ص143.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص134.

[5] المصدر نفسه، ص145.

وامتصتها ثقافة أخرى، وكل أمة لا يكون فيها إبداع مستمر، تبتعد شيئا فشيئا عن إبداعاتها في الماضي وتصبح غريبة عنها ذلك أن الإبداع الحاضر وحده يحفظ إبداع الماضي".[1]

ويرى أدونيس أنه يمكن اختصار معنى الحداثة بأنه: "التوكيد المطلق على أولوية التعبير"[2]، ويعني هذا أن طريقة أو كيفية التعبير أكثر أهمية من الشيء المعبَر عنه بحيث أن شعرية القصيدة أو كما يصطلح عليها أيضا بفنّيتها، يكمن في بنيتها أي في وحدتها العضوية وشكلها، لا في وظيفتها التي تؤديها كقصيدة، ومن هذا نخلصُ إلى ثلاث حقائق وهي:

الأولى: هي أن الإصرار على أولوية الموضوع، أي على وظيفة الشعر إنما هي نفي للشعر.

الثانية: هي أن القارئ الحقيقي كالشاعر الحقيقي، لا يُعنَى بموضوع القصيدة وإنما يُعْنَى بحضورها أمامه كشكل تعبيري؛ أعني بنيتها الفنية الجمالية.

الثالثة: هي أن على القارئ الجديد، أن يتوقف على طرح السؤال القديم ما معنى هذه القصيدة، وما موضوعها؟؟؟ لكي يطرح السؤال الجديد: ماذا تطرح عليّ هذه القصيدة من أسئلة، وماذا تفتح أمامي من آفاق؟.[3]

وبما أن القصائد الشعرية الحداثية كتبت بطرائق إبداعية جديدة، تحمل في طياتها روح التغيير والخلق والتجديد، في كل شيء فهي بهذا النحو تختلف عما سبقها من قصائد تقليدية، لأن القصائد الإبداعية هي محاولة إلى حمل الحاضر واحتضان المستقبل، برؤى شعرية خلاقة عما حولها.

---

[1] المصدر السابق، ص75.

[2] المصدر نفسه، ص195.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 195.

وبالتالي، لا يكفي أن يتحدث الشاعر الحداثي في كتاباته الإبداعية عن ضرورة الثورة على التقليد، بل يتوجب عليه أن يتبنى الحداثة، لأن الحداثة ليس كما ينظُر لها البعض بأنها تعني أن نكتب قصائد ذات شكل مستحدث؛ بمعنى شكل لم يعرفه الماضي ولم يخلقه السلف والأقدمون، بل على عكس ذلك تماما، لأن:

ـ الحداثة موقف وعقلية.

ـ أنها طريقة نظر وطريقة فهم.

ـ وهي فوق كل ذلك وقبله ممارية ومعاناة.

ـ إنها قبول بكل مستلزمات الحداثة: الكشف والمغامرة واحتضان المجهول.[1]

وبهذا ندرك أن دور المبدع لا يكمن في المحافظة على النظام الثقافي الموروث وإنما دور المبدع يكمن في تفجير ذلك النظام أولا، ومحاولة تطويره ثانيا، لأن الكتابة الإبداعية: "قوة إبداع وتغيير، تضع العربي في مناخ البحث والتساؤل والتطلع".[2]

وبناءً على ما سبق تتضح لدينا ثلاث مبادئ تقوم عليها الحداثة نذكرها كما يلي:

ـ مبدأ الحرية دون أي قيد.

ـ مبدأ لا نهائية المعرفة، ولا نهائية الكشف.

ـ مبدأ التغاير والاختلاف والتعدد.[3]

[1] المصدر السابق، ص227.

[2] المصدر نفسه، ص239.

[3] أدونيس: الثابت والمتحول، ج1، ص20.

وعليه نستنتج أن الإبداع نقيض التكرارية والتراكمية، والحداثة هي: "قبول المجهول، أي طرح الأسئلة، أي تتيحُ نشوء طرق جديدة للتعبير"[1]، وبالتالي فالحداثة ليست شكلا، أو مجرد شكل، وإنما هي رؤيا وطريقة تعبير وإبداع مغايرة.

ثالثا: بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية:

إن التجديد في منظور أدونيس لا يتمُ بالعودة إلى التقليد أو بالتلاؤم مع أشكاله الشعرية لأن التقليد ثبات والحياة حركة، فمن يبق في التقليد يبق خارج الحياة[2].

لذا فدلالة التجديد الأولى في الشعر هي: " طاقة التغيير التي يمارسها بالنسبة إلى ما قبله وما بعده أي طاقة الخروج عن الماضي من جهة، وطاقة احتضان المستقبل من جهة ثانية"[3].

ولعل الممعن بالنظر لما طرحه أدونيس في صفحات كتابه الموسوم ب: زمن الشعر، يجده غالبا ما يوازن بين ماهية الشعر الجديد وماهية الشعر القديم أي بين الكتابة التقليدية والتي يصطلح عليها عادة بالكتابة الكلاسيكية والقديمة وبين الكتابة الإبداعية والتي غالبا ما يطلق عليها كذلك الكتابة الفنية أو الجديدة (الحديثة).

وفي الجدول التالي موازنة بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية وتوضيح لأهم الفروقات بينهما:

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص347.

[2] ينظر: بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية، ص411.

[3] أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص100.

الكتابة التقليدية	الكتابة الإبداعية
_ "القصيدة الخليلية مجبرة على اختيار الأشكال التي تفرضها القاعدة أو التقليد الموروث.	القصيدة الجديدة نثرا أو وزنا، حرة في اختيار الأشكال التي تفرضها تجربة الشاعر".[1]
_ "تكتفي اللغة في شعرنا العربي التقليدي من الواقع ومن العالم، فهي لغة وصف وتعبير.	–يطمح الشعر الجديد أن يؤسس لغة التغيير والتساؤل، ذلك أن الشاعر هو من يخلق أشياء العالم بطريقة جديدة".[2]
_ "الصياغة الشكلية هو شكل القصيدة قديما.	_ "وحدتها العضوية هو شكل القصيدة حديثا ".[3]
_ "القصيدة العربية القديمة مجموعة أبيات أي مجموعة وحدات مستقلة متكررة لا يربط بينها نظام داخلي إنما تربط بينها القافية، وهي قائمة على الوزن، والإيجاز طابعها العام.	_ القصيدة الجديدة وحدة متماسكة، حية متنوعة، وهي تُنْقَد ككل لا يتجزأ، شكلا ومضمونا.
_ القصيدة التقليدية صناعة ومعانٍ.	_ القصيدة الجديدة تجربة متميزة.
_القصيدة التقليدية ذوق عام وقواعد نحوية وبيانية.	_ القصيدة الجديدة لغة شخصية.
_ جماليتها في البيت المفرد.	_ الفرادة والجدة من أهم عناصرها.
_ تقوم على الوزن السهل المحدد المفروض	_ تقوم على الإيقاع، والإيقاع نابع من

[1] المصدر السابق، ص100.

[2] أدونيس: زمن الشعر، ص157.

[3] المصدر نفسه، ص179.

من الخارج.	الداخل.
_ شكل واحد في القصيدة التقليدية.	_ بينما لكل قصيدة جديدة شكلها الخاص
_لا يتطلب إدراك الشكل في القصيدة التقليدية جهدا.	_ بينما إدراكه في القصيدة الجديدة يتطلب وعيا شعريا كبيرا.
_ الشكل الشعري فيها ثبات وسكون.	_ الشكل الشعري فيها حركة وتغير ولادة مستمرة ".[1]
_ " التعبير الشعري مسألة نحو وقواعد.	_التعبير الشعري مسألة انفعال وتوتر وحساسية ورؤية.
_عالم مغلق نهائي.	_ عالم يتطور في حركة لا نهائية لها.
_ الشعر يوصف بأنه شعور وصناعة.	_ الشعر يوصف بأنه خلق ورؤيا ".[2]
_ "مهمة الشاعر العربي هنا ملاحظة العالم، فيستعيده ويصفه.	– أما مهمته هنا فهي إعادة النظر في هذا العالم، أن يبدله، أن يخلق ويجدد".[3]
_ "نظام العالم القديم هو التفسير.	_ نظام العالم الجديد هو التغيير".[4]
_ "المعنى موجود مسبقا والكاتب يصوغه بشكل جديد أي أن المعنى مسبق.	_المعنى ينشأ في الكتابة وبعدها، بعدي لا قبلي أي معنى لاحق".[5]
_ "تقول المعروف في قالب جاهز معروف، فهي تعكس واقعا أو أفكارا أي أنها تعبير.	_ تقدم للقارئ ما لم يعرضه من قبل في بنية شكلية غير معروفة أي أنها خلق"[6]

[1] ينظر: المصدر السابق، ص174– 175 .

[2] المصدر نفسه، ص176 –177.

[3] المصدر نفسه، ص180.

[4] المصدر نفسه، ص226.

[5] المصدر نفسه، ص240.

[6] المصدر نفسه، ص359.

"إن الشعر بطبيعته يرفض القيود الخارجية، يرفض القوالب الجاهزة والإيقاعات المفروضة من الخارج، وهو يتيحُ طواعية شكلية إلى أقصى حدود التنوع، بحيث أن القصيدة تخلق شكلها الذي تريد كالنهر الذي يخلق مجراه ".[1]

إن الشاعر الحقيقي هو من يكسر عالم الجمود والرتابة، ويدخل في عالم التغيير والخلق يغير ما فات، يخلق ويؤسس طرقا كتابية جديدة تناسب عالمه وتجاربه.

رابعا: أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس

لعل من أبرز سمات الشاعر ومميزاته، هو أنه إنسان غير عادي لأنه يمتلك رؤى تؤهله من النفاذ إلى الأعماق، يتوقُ دائما ويطمحُ ساعيا إلى فتحِ آفاق جديدة خصوصا فكرته في الخروج عن المؤسسة الشعرية القديمة، والبحث عن نمط جديد للكتابة يكون قادرا على استيعاب الواقع بكل أبعاده.[2]

وعلى هذا يتوجب على الشاعر الحديث بل ويتحتمُ عليه كذلك " الاجتهاد الدائب والمستمر في البحث عن سبل جديدة ومبتكرة ومثمرة لتطوير فعاليته الشعرية، نحو إنجاز وابتكار مفهوم جديد ومغاير للكتابة الشعرية في كل مرحلة، يتجاوز فيها آخر نص له، ويضّخُ تجربته الشعرية بدماء جديدة أكثر حيوية ونشاطا وقدرة على الحياة والفعل والتأثير".[3]

ولعل الشاعر أدونيس أحد أبرز الشعراء المعاصرين الذين امتلكوا القدرة البالغة على صياغة مفهوم جديد ودائم التطور للكتابة، وهذا ما لمحناه خصوصا في كتابه الموسوم بزمن الشعر، لكن ثمة ملاحظة أساسية –لابدّ من الإشارة إليها–وهي ملاحظة تتعلق بالمصطلحات المرادفة لمصطلح الكتابة الجديدة، منها: الفنية التغييرية، الثورية، الطليعية

[1] أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص116 –117.

[2] ينظر: بشير تاوريريت، آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس، ص193 –194.

[3] محمد صابر عبيد: الفضاء الشعري الأدونيسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص138.

الإبداعية وكذلك الشعرية، وربما صفة الجديدة أسبق من غيرها والأكثر شيوعا كذلك، أما فيما يتعلق بأسس الكتابة الجديدة عند أدونيس فهي كالآتي:

_ " طريقة كتابية لم توجد من قبل.

_ يجب أن يكون هذا الاختلاف، أصيلا وفذا، بحيث يشعر الجميع أنهم لا يستطيعون مضاهاة الطريقة الكتابية التي يمثلها، ولا يقدرون عليها.

_ يجب أن يعُمَّ هذا الاختلاف العصور كلها، لا العصر وحده الذي نشأ فيه ".[1]

_ "الكتابة دون احتذاء نموذج مسبق.

_ إلغاء النمط والطراز والغرار والشبه.

_ أن نؤسس الحركة والطريق والتجاوز.

_ أن نؤسس الاختلاف والفرق والتفرد". [2]

_ "استخدام لغة جديدة.

_ ابتكار بنية تعبيرية جديدة.

_ وضع التجربة في عالم متكامل".[3]

_ وعليه فالحركة الجديدة في الشعر تستند إلى الأسس التالية:[4]

أولا: التمرد على الذهنية التقليدية.

---

[1] أدونيس: زمن الشعر، ص112.

[2] المصدر نفسه، ص134.

[3] المصدر نفسه، 135.

[4] المصدر نفسه، ص174.

ثانيا: تخطي المفهوم القديم للشعر العربي بأنه كلام موزون مقفى، لأن الشعر حسب أدونيس هو: " الطاقة المحررة بامتياز "[1]، "إنه خرق للعادة "[2].

ثالثا: تخطي المفهوم الذي يرى في الشعر العربي القديم، وثوقية جمالية وأنموذجا لكل شعر يأتي بعده، أو أصولا أخيرة.

_ الخروج على نظام اللغة ونظام التفكير؛ أي الخروج على نظام الكتابة المألوفة.[3]

_ اشتراط الثقافة الواسعة والعميقة لكل من الشاعر والقارئ " التغير الذي حدث للشعر (أي الشاعر) لم يحدث للوعي (أي القارئ).

_ محاربة الأفكار والمعاني والأشكال القديمة.

_ إحلال لغة الخلق محل لغة التعبير ".[4]

_ "البحث الأبدي عن مشروع عالم آخر، واقع آخر، مشروع انفتاح لا ينتهي.

_ تجاوز التراث والأنواع الأدبية.

_ الكتابة وفقا للمفاجأة، وما لا يمكن توقعه ". [5]

_ " الاشتراط على الكاتب أن يقدم للقارئ ما لا يعرفه، بحيث يخرجه من بيت الذاكرة ويقذف به في مشروع، في حركة التأسيس.

---

[1] المصدر السابق، ص102.

[2] المصدر نفسه، ص180.

[3] المصدر نفسه، ص242.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص357.

[5] المصدر نفسه، ص359.

_ الهدم الشامل للنظام السائد وعلاقته، أي نظام الأفكار".[1]

_ الكتابة سؤال لا جواب "وبذلك يبطل القارئ الذي يعيش في مدار الأجوبة الجاهزة فلا تكون لها بداية معلومة أو نهاية معلومة، فيتغير بذلك فعل القراءة لتسلك بذلك سبيل التأمل والسؤال".[2]

إن أدونيس يرى بأن الكتابة هي شيء يتوجب على الكاتب الحَقِ أن يكتشفه ويخلقه فالكتابة حسبه هي الانفصال والانقطاع التام عن النظام القديم ، الكتابة ثورة من أجل بناء و إقامة بُنَى مغايرة تتسم بالجِدَّة، إذا الكتابة هي تجاوز " للتفسير" الذي اعتمده نظام العالم القديم، "بالتغيير" الذي نطمح ونسعى لخلقه في نظام العالم الجديد :" الكتابة هي ما يجب أن نكتشفه، هي الانفصال الكامل عن النظام القديم بجميع مستوياته الرمزية والبنيوية، هي تثوير اللغة باستمرار، هي كالثورة إقامة بنية جديدة، الكتابة هي أبداً ... تجاوز التفسير نظام العالم القديم ، إلى التغيير النظام العالم الجديد ". [3]

لهذا اتضح حسب رأي أدونيس أنه لا يكفي أن يقدم لنا شعراء "الشعر الجديد" طرائق جديدة وكيفيات مغايرة في الكتابة، إن الشعر الجديد معناه كامن في أنه يفكك ويقوِّض ويشرِّح البنية الجمالية القديمة ويقوم يتجاوزها وتخطيها، مقدمًا لنا بنية جمالية جديدة يقول أدونيس: " لا يكفي إذا، أن يقدم الشعر الجديد طرائق جديدة في كتابة الشكل الشعري، إنّ معنى الشعر الجديد وأهميته كامنان في كونه يفكك البنية الجمالية القديمة، ويتجاوزها، ويقدم بنية جديدة ".[4]

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ص360.

[2] كلفالي سميحة: الرؤيا الشعرية عند أدونيس، امحمد بن لخضر فورار، نقد أدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيذر، 2017م/ 2018م، ص85.

[3] أدونيس: زمن الشعر، 226.

[4] المصدر نفسه، ص227.

من هنا تقوم الحاجة الماسة إلى التجديد، إلى بث الحياة فيما هو جامد، وفيمن كان حيًا ثم جمد، إلى كسرِ جدار الرتابة، ونزع غشاء البلادة، "لأن الكون وروعته وجلاله وجماله، لا يستوقف سحره إلا القليل، في لحظات قليلة "[1]، لأنه محجوب عن الكثيرين بسبب العادة والرتابة، لهذا يتوجب على الشعراء أن يتجاوزوا التقليد والنموذج، ويتحرروا من العادة والأشكال الموروثة، ومحاولة الكتابة بطرق جديدة ومغايرة.

[1]عبد المالك بومنجل: جدل الثابت والمتغير في النقد العربي الحديث مساءلة الحداثة، عالم الكتب الحديث اربد، لبنان، ط1، 2010م، ص287.

الخاتمة

بعد دراسة التجريب وأسس الكتابة الجديدة عند أدونيس في كتابه الذي جاء تحت عنوان: " زمن الشعر"، وصلت إلى جملة من النتائج يمكن تحديدها في النقاط التالية:

_ لعل أكبر خطوة تجريبية في الشعر العربي، كانت على يد الشعراء الذين انتهجوا الشعر الحر –وبعد ذلك –ظهور قصيدة النثر على يد يوسف الخال وأدونيس.

_ يعرِّف أدونيس التجريب على أنه المحاولة الدائمة للخروج من طرق التعبير المستقرة والتي أصبحت قوالب وأنماط جاهزة، وابتكار طرق جديدة، لأن التجريب عمل مستمر لتجاوز ما استقر وجمد.

_ يرى أدونيس أن نشأة التجريب في الساحة الأدبية العربية، ظهر على يد الشاعر العربي أبي تمام، الذي غيَّر في مجرى اتجاه القصيدة، إذ نلمسُ في قصائده معنى جديد للعالم والإنسان، فقد غيَّر في نظام الدوال والمدلولات أي في كيفية بناء القصيدة بقوالب شعرية جديدة، غير مألوفة.

_ من بين المصطلحات التي تتقاطع مع مصطلح التجريب، مصطلح الحداثة والتغريب والمعاصرة، باعتبار أن الحداثة حركة لا تنتهي، وهي دائمة البحث عن الجديد، والتغريب الذي يعني الرغبة في الإتيان بكل ما هو غريب، والمعاصرة التي تعني المقدرة الشخصية في إبداع الجديد في جميع المجالات، والتجريب الذي يعني كما قلنا سابقا فعل التجاوز والثورة على كل ما هو تقليدي.

_ إن علاقة التجريب بالرؤيا، هو أن الرؤيا في حقيقة الأمر ما هي إلا نوع من التخطي ومحاولة القفز عن دائرة المفاهيم السائدة والمكررة، لأن الرؤيا حسبه هي تغيير في نظام الأشياء، وفي أنظمة النظر إليها وهنا تكمن روح التجريب.

_ يرى أدونيس بأن الشعر الجديد يجب أن يترك ويتجاوز الأمور التالية: الحادثة الشعر الوقائعي، الجزئية، الرؤية الأفقية، التفكك البنائي.

_ في منظور أدونيس أن الشعر الجديد تجربة شاملة ومعقدة، ولكي ندركه وجب أن نخلص عقليتنا ووعينا من الأمور التالية: السلفية، النموذجية، التكرار، التجزيئية، الغنائية الفردية.

_ لقد اكتسبت حركة الثورة قيمة بارزة في حياة الناقد أدونيس، فقد أولاها أهمية كبيرة وتكمن علاقة الثورة بالتجريب، هو أن الثورة تسعى إلى نشر طابع التجديد والإبداع والخلق المستمر، والتخلص من طابع التكرارية والنموذج الجاهز.

_ إن التجاوز من المقولات الأساسية التي بنى عليها أدونيس نظريته الشعرية فهو لا يقصد به نفي الماضي، بل يعني فعل التجاوز عنده تجاوز طرق الكتابة وأساليب التعبير القديمة، التي لم تعد لها القدرة الكافية في الاستجابة لحياة الشاعر وتجاربه.

_ يُقِرُ أدونيس بأنه في مسألة محاربته للماضي، لم يكن يحارب تراث الأمة العربية، بل كان يحارب الأشكال التقليدية والنموذج، حتى أنه في مسألة رجوعه للماضي، كان رجوعا إلى مستوى معين في وعي الشاعر قديما، وتصورات للحياة والإنسان، لذا كانت علاقته بالتراث علاقة اتصال وانفصال في آن واحد.

_ إن الإبداع نواة الحداثة الشعرية وجوهرها، بل هو المكوِّن الأساسي في بناءها لذا لا يمكن الاستغناء والتخلي عنه، لأن دوره كامن في ميلاد أساليب جديدة ومعاني غير مألوفة.

_ الكتابة الإبداعية هي كتابة تقوم على الحرية لا على السلطة والمرجعيات السائدة، بل إن المرجعية الحقيقية للكتابة الإبداعية هي الإبداع الذي يلغي النموذج والشبه والنمط.

_ لعل من بين خصائص الكتابة الإبداعية، هو أنها لا تصف الواقع، بل تعيد خلقه وترفع أحداثه إلى مستوى الرمز.

_ لعل من بين المرادفات للكتابة الإبداعية نجد الكثير وأبرزها: الفنية، التغييرية، الثورية الشعرية، الجديدة.

_ من بين أهم الفروقات التي تجلَّت في كتاب زمن الشعر بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية، هو أن الأولى مجبرة على اختيار الأشكال التي تفرضها القاعدة والثانية حرة في اختيار الأشكال التي تفرضها تجربة الشاعر...الخ.

_ إن الشاعر الحقيقي في نظر أدونيس، هو من يكسر عالم الجمود والرتابة ويدخل في رحابة عالم التغيير والخلق.

_ أدونيس امتلك القدرة على صياغة أسس كتابية جديدة، تقوم على الاستخدام الجديد للغة، ومحاولة الكتابة دون احتذاء نموذج مسبق، وإلغاء الشبه والنمطية بالإضافة إلى محاربة المعاني والأشكال القديمة، لأن الكتابة الجديدة سؤال لا جواب.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي وقراءتي لكتاب أدونيس الموسوم بـ: "زمن الشعر"، فقد حاولت جاهدة إلى الإحاطة بمختلف القضايا الأساسية الموجودة فيه، إلا أنني لا أدعي بلوغ ذلك، ولا شك أن بعض القضايا فيه، لا تزال غير مستوفاة بالشكل المطلوب آمل أن تتناولها جهود بحوث أخرى، وأرجو في الأخير أن تفوق حسنات البحث سيئاته، والله أسأل التوفيق والسداد.

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

_ أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر):

1 _ الثابت والمتحول، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج1، دار اليافي بيروت لبنان، ط1، 1994م.

2 _ الثابت والمتحول، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، دار العودة بيروت، ط1 1987م.

3 _ الحداثة في المجتمع العربي، القيم، الفكر، الفن، بدايات، دمشق، سوريا، د.ط 2008م.

4 _ مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979م.

5 _ فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للتأليف والترجمة النشر، دمشق، سوريا ط3 2010م.

6 _ زمن الشعر، دار اليافي، بيروت، لبنان، ط6، 2005م.

المصادر والمراجع:

7 _ **أسماء أحمد معيكل:** الأصالة والتغريب في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2011م.

8 _ **أيمن تعيليب:** منطق التجريب في الخطاب السردي المعاصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2010م.

9 _ **إبراهيم أحمد ملحم:** منزلات الرؤيا –الشاعر العربي المعاصر وعالمه–، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

10 _ **إبراهيم مصطفى وآخرون:** معجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ط2، 1972م.

11 _ **آمال منصور:** أدونيس وبنية القصيدة القصيرة –دراسة في أغاني مهيار الدمشقي– عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007م.

أبو الفضل جمال الدين ابن منظور:

12 _ لسان العرب، ج1، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

13 _ لسان العرب، مج 3، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

بشير تاوريريت:

14 _ أدونيس في ميزان النقد –أربع مسائل خلافية بين أدونيس ومعارضيه–مطبعة مزوار بسكرة، الجزائر، د.ط، د.ت.

15 _ آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس –دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم– عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م.

16 _ الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م.

17 _ **خالد الغريبي:** جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي، دار صامد للنشر تونس، ط2، 2006م.

18 _ **خليل أبو جهجة:** الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

19 _ **سفيان زدادقة:** الحقيقة والسراب –قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة –، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008م.

20 _ **شعبان عيد الحكيم محمد:** التجريب في فن القصة القصيرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2010م.

21 _ **صلاح فضل:** لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، وادي النيل القاهرة، ط1، 2005م.

22 _ **عادل ظاهر:** أدونيس والإثم الهيراقليطي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق، سوريا، ط1، 2011م.

23 _ **علي محمد المومني:** الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2009م.

24 _ **عصام العسل:** الخطاب النقدي عند أدونيس –قراءة الشعر أنموذجا–

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

25 _ **عبد العزيز ضويو:** التجريب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2014م.

26 _ **عبد المالك بومنجل:** جدل الثابت والمتغير في النقد العربي القديم مساءلة الحداثة عالم الكتب الحديث، إربد، لبنان، ط1، 2010م.

27 _ **فارح مسرحي:** الحداثة في فكر محمد أركون، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان، ط1، 2006م.

28 _ **فراس الريموني:** حلقات التجريب في المسرح، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2012م.

29 _ **محمد صابر عبيد:** الفضاء الشعري الأدونيسي، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 2016م.

محمد عابد الجابري:

30 _ إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1 1989م.

31 _ التراث والحداثة –دراسات ومناقشات –، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان ط1، 1991م.

32 _ **مجدي وهبه وكامل مهندس:** معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

33 _ **وارث الحسن:** التطور والتجديد في شرح الشعر العربي القديم بين المشرق والمغرب مؤسسة الوارق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

34 _ **يوسف حسين بكار:** قضايا في النقد والشعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

الرسائل الجامعية:

35 _ **برهوم فاروق وعطية بلال:** التجريب في رواية العشق المقدنس لعز الدين جلاوجي مذكرة لنيل شهادة الماستر، مخطوط جامعة العربي التبسي، 2016م-2017م.

36 _ **كلفالي سميحة:** الرؤيا الشعرية عند أدونيس، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة العلوم، جامعة محمد خيذر بسكرة، 2017م -2018م.

المجلات:

37 _ **إبراهيم السامرائي:** التغريب في اللغة العربية، مجلة عالم الفكر، مج10، ع04 1980م.

38 _ **خليل موسى:** الحداثة اليوم، مجلة الحداثة، مج16-17، ع 31-32-33-34 1898م.

39 _ **شكري فيصل:** التراث العربي -خطة ومنهج -، مجلة التراث العربي مج05، ع03 1980م.

40 _ **علوي الهاشمي:** الحداثة وسلطة الواقع، مجلة الحداثة، مج16-17، ع31-32 33-34، 1898م.

41 _ **كمال محي الدين حسين:** رأي في طبيعة الحداثة، مجلة الحداثة، مج16-17 ع31-32-33-34، 1989م.

42 _ **كامل صالح:** مفهوم المعاصرة في شعر نزار قباني، مجلة الحداثة، مج 16-17 ع31-32-33-34، 1989م.

43 _ **محمد عابد الجابري:** إعادة طرح الحداثة مرتبطة بصعود الإسلاميين، مجلة الحداثة، مج 16-17، ع31-32-33-34، 1989م.

44 _ **نعيم اليافي:** الماركسيون يعيدون اكتشاف طه حسين ليعارضوا به الإسلاميين، مجلة الحداثة، مج 16-17، ع31-32-33-34، 1989م.

فهرس

الموضوعات

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: التجريب عند أدونيس

أولا: مفهوم التجريب.....**6**

1- أ-لغة.....6

ب-اصطلاحا.....7

2-مفهوم التجريب عند أدونيس

أ-تجليات التجريب عند أدونيس.....11

ب-أصول التجريب عند أدونيس.....12

3-في إشكالية المصطلح

أ-التجريب والحداثة 16

ب-التجريب والتغريب.....17

ج-التجريب والمعاصرة.....18

ثانيا: التجريب والرؤيا.....**21**

ثالثا: التجريب والثورة **28**

رابعا: التجريب والتجاوز.....**31**

خامسا: أسس التجريب عند أدونيس.....**35**

الفصل الثاني: أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس

أولا: موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة.....40

1_ مفهوم التراث.....41

أ –لغة.....41

ب–اصطلاحا.....42

2–موقف أدونيس من التراث في التأسيس للكتابة الجديدة.....43

ثانيا: الكتابة الإبداعية والحداثة الشعرية.....52

ثالثا: بين الكتابة التقليدية والكتابة الإبداعية.....60

رابعا: أسس الكتابة الجديدة عند أدونيس.....63

خاتمة.....69

قائمة المصادر والمراجع.....73

فهرس الموضوعات.....80